الأربعون التربوية من الواحة النبوية

الرعاية والهداية وحقوق الانسان

تأليف الأستاذة: غيثاء محمد أحمد علبي

جميع الحقوق محفوظة 2016

الأربعون التربوية
من
الواحة النبوية

الرعاية والهداية
وحقوق الانسان

تأليف الأستاذة
غيثاء محمد أحمد علبي

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المحور	4	الحديث 20	64
الإهداء	5	الحديث 21	66
المقدمة	6	الحديث 22	68
الحديث 1	8	الحديث 23	71
الحديث 2	11	الحديث 24	74
الحديث 3	13	الحديث 25	77
الحديث 4	16	الحديث 26	79
الحديث 5	18	الحديث 27	81
الحديث 6	21	الحديث 28	83
الحديث 7	24	الحديث 29	85
الحديث 8	27	الحديث 30	88
الحديث 9	30	الحديث 31	90
الحديث 10	32	الحديث 32	92
الحديث 11	35	الحديث 33	95
الحديث 12	37	الحديث 34	99
الحديث 13	41	الحديث 35	102
الحديث 14	43	الحديث 36	105
الحديث 15	51	الحديث 37	108
الحديث 16	54	الحديث 38	110
الحديث 17	57	الحديث 39	113
الحديث 18	60	الحديث 40	115
الحديث 19	62	الخاتمة والأنشطة	118

المحـور

﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّـهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

أنـت نـشء وكـلامي شعل *** علَّ شدوي مضرمٌ فيك حريقا
منتهى الآمال مني أن أرى *** قطرةً فيك غدت بحـراً عميقا
فـلا تـيـأس أيـهـا المـربــي *** فلرُبَّ قطرة تغدو بحراً عميقا

الإهداء

إلى والديَّ اللَّذيْن أحسنا تربيتي.. وما ادخروا جهداً في توجيهي فجزاهما الله عنّي كلّ خير.

إلى الدعاة المخلصين الذين صدقوا الله في تعليمي وعلى رأسهم زوجي الدكتور فارس علوان رحمه الله.

إلى بناتي وأبنائي وحفدتي الذين بعثوا الأمل في نفسي فكانوا ثمارًا طيبة أصيلة في ساحة الدعوة.

إلى أزواج بناتي الذين رعوا الأمانة فكانوا صورًا من الوفاء. وكانوا نعم الأبناء.

إلى زوجات أبنائي اللّواتي حافظنَ على أن تبقى بيوتنا منارة في عداد بيوت الدعاة.

إلى كلّ من مدَّ يده ليرفع الراية، ويعيد العزة، ويداوي الجسد العليل.

إليكم إخواني وأخواتي جميعًا أقدِّم هذا الجهد المتواضع..

اللهمّ تقبَّلْ منّا وأرنا الإسلام عزيزًا.. واجعلنا من جنده المخلصين..

اللهمّ آمين.

المؤلفة
أ. غيثاء محمد (أم محمد)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعلنا على المنهج القويم، وأكرمنا بسيّد المرسلين، هادياً وبشيرًا للمؤمنين، ونذيرًا لمن أعرض وكان من المستكبرين، أما بعد:

فقد شرحت في هذا الكتاب أربعين حديثًا من كلام الحبيب الهادي محمد ﷺ، والتي اخترتها لتكون نبراساً تربوياً، ومنهجاً علميًّا، وخطوات عملية، وقد تربى عليه أخوات عاملات في حقل الدعوة، يحملن روح المصابرات القانتات، وآمال الداعيات المربّيات، وبعد أن كانت هذه المادة كراساً يتداولنه فيما بينهن ألححن عليَّ بطبعه وتعميمه لتحصل الفائدة، وتنتشر تلك الفوائد إذ يحتجْنَها في ممارسة العملية التربوية.

وكنت قد بدأت كتاباتي بدراسات تربوية لسورتي الفاتحة والبقرة، وإن شاء الله - وكان في العمر بقية - سأكمل التربويات القرآنية، لعلّ الله يكرمنا ويمتعنا بنصر الإسلام العظيم وعزة أتباعه المؤمنين.

يعلم الله أني لم أكتب هذا الكتاب لأزيد المكتبة كتاباً ولكني كتبت تجربتي التربوية، وخبرتي الدعوية، وذلك تأسِّياً بسيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ وتلبية لأمر الله عزوجل: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ فللدُّعاة علينا فضل، ولا بد أن يظهر فضلهم وأن نوصل حلقاتهم؛ ليظهر حسن صنيعهم، ونثقل ميزان أعمالهم، وتكون الأجيال امتداداً صالحاً لهم، وما ذلك على الله بعزيز.

الأربعون التربوية

الحديث الأول

عن عليٍّ كرَّم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: "أدِّبوا أَوْلادَكُمْ عَلى ثَلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نَبِيِّكُمْ، وحُبِّ آلِ بَيْتِه، وتِلاوَةِ القُرآنِ؛ فإنَّ حَمَلَةَ القُرْآنِ في ظِلِّ عَرْشِ اللهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه مَعَ أَنْبِيائِه وأَصْفِيائِه".
رواه الطبراني

أدِّبوا أبلغ من عَلِّموا؛ لأنّ التأديب يعني جمع العلم والأدب. فلذلك قال الإمام النووي رحمه الله: (إذا دفعتَ لولدك كتابَ الحديثِ، فاجعله يستشعرُ وجودَ رسولِ اللهِ ﷺ فليجلسْ لتعلّمه كما كانَ يجلسُ الصحابةُ بينَ يدَي رسولِ اللهِ ﷺ) قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (كُنّا نَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ وكأنَّ عَلى رُؤوسِنا الطَّيْرَ)، وتلاوةُ القرآنِ غيْرُ ترتيله أو قراءته.

والتلاوة استجماع اللسان والعقل والقلب. ويَدَرَّبُ الطفل على هذه الجلسة الربانية وإن كانت عشر دقائق لا تتجاوز ذلك، لعدم صبر الطفل على الوقت الطويل، فلا يكثر عليه حتى لا يملّ. فالمهم أن يدرَّب على ذلك فيرتل ويعقل ويُسأل عمّا فهمه من الآية، ثمّ يُشرح له المعنى أو يوضح. ويُعاهده على الصلاة على النبي ﷺ ثلاث مرات عندما يستيقظ صباحًا وقبل النوم وبعد عمر السابعة يُعاهد عليها بعد كل صلاة.

وحبُّ النبي ﷺ، صبغة يُصبغ بها بيت المحبين، وقد قيل إن من أحب شيئًا أكثرَ من ذكره، فعندما يكون ذكر نبينا ﷺ على ألسنتنا، صلاةً عليه، وفي أفعالنا قدوةً به، وفي جميع أحوالنا تأسِّياً بما كان عليه، حتى نكون كما قال الصحابي الجليل

قطبة بن عامر الأنصاري رضي الله عنه: ألستَ نَبِيّي؟ أليسَ دينُكَ دينِي؟ فكيفَ لا يكونُ هَدْيُكَ هَدْيي؟ وسَمْتُكَ سَمْتي؟ ما أعمقَ هذه المعاني الإيمانية! وقد فارقت الأمة هَدْيَ نبيها ﷺ، وسمته، والسرّ كلّه أنها افتقدت المحبة الصادقة، نتيجة لعدم إدراك عظمة هذا النبيّ الكريم ﷺ، الذي هو خيرٌ لأمّته حياً وميتاً، ففي حياته علَّمهم وبعد مماته تُعرض عليه أعمالهم فيستغفر لهم، ويوم القيامة يشفع لهم.

وأما حبُّ آل بيت النبي ﷺ فلأنَّهم هم الذين ربَّاهم على هدي الإسلام، ولأنهم النماذج الإسلامية للمرأة وللحفدة فنرى فيهم النبي ﷺ أباً، والنبي ﷺ نسباً وصهراً، والنبي ﷺ جَدًّا، والنبي ﷺ زوجاً على رأي من يرى أن أزواجه من آله كما أشارت الآيات في سورة الأحزاب. فمن فاطمة الزهراء نتعلم، وبهدي الحسن والحسين نهتدي، ومن أزواجه نتلقى الحكمة التي أُمِرْنا بذكرها؛ فبيت النبي ﷺ كلّه خير، وهذا التوجيه لحبهم يعني: أديموا ذكرهم، وتأسَّوا بهم لأنهم يُمثلون الهدي النبوي الشريف، ولقول النبي ﷺ: (أحِبُّوا اللهَ لِمَا يغذوكم مِنْ نِعَمِه، وأحبُّوني لِحُبِّ اللهِ إيّايَ، وأحبُّوا آلَ بيْتي لِحُبِّي) [رواه الترمذي في مناقب أهل البيت].

ومن الوصايا في تأديب الأطفال وتربيتهم نتعلم أن:

1. يُحسن الوالدان اختيار اسم الطفل معنى وأثراً.
2. يعلِّماه مكارم الأخلاق: الصدقة، الأمانة، المروءة، التسامح، احترام الحقوق،التواضع وألّا يفخر على أحد.
3. يحفظاه من قرناء السوء، ويتخيروا له الصحبة الصالحة.

4. لا يعوّداه التنَعم، ولا تُحبب إليه الزينة، وأسباب الرفاهية، فيضيّع عمره في طلبها. وصدق ابن القيم رحمه الله في عبارته الذهبية: (التَّرَفُ يقطعُ عُنُقَ الفَضائِلِ).
5. يحسن الوالد تعليم الأم وتفقيهها، ويحرص على إطعامها الحلال الطيب، ويتعاهد معها على تقوى الله، والمحافظة على الطهارة والوضوء.
6. يُنمّى فيه خلق الحياء فهو جماع الخير، وأن يعلمّاه عزة المسلم بإسلامه.
7. يعوّداه الأناقة والنظافة، ويحبّبا إليه لبس البياض، فإنه سمت الصالحين.
8. يُعلّماه التيامن والعفة، وكرامة النفس، والترفّع عما لا يليق بالمسلم، وأن يعلّماه طريقة التدبر والتدريب على التفكر فيما تعلّم لينقدح ذهنه، وأن يكون في البعد البؤري كي تُرى العيوب فيقوِّمانها.
9. يُعلّماه الكلام الطيب، ويُحفِّظاه أمجاد المسلمين، ويُحبِّبا إليه الدعاة، ولا يذكرونهم أمامه إلا بخير.
10. يُعلّماه الترفّع عن سفاسف الأمور، ويُشغلاه بعظائمها.

الحديث الثاني

عن أنَسٍ رضي الله عنه قال: "أنّ رجلا سألَ النبيَّ ﷺ: متى السّاعةُ ؟ قال: وما أعدَدْتَ لَها ؟ قال: لا شيء؛ غيرَ أنّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه، فقالَ عليه الصّلاة والسلامُ: أنتَ معَ مَنْ أحْبَبْتَ".
رواه الشيخان

طريقة إجابة الرسول ﷺ بحيث تجعل السائل هو المسؤول، وهذا من أرقى أنواع التعليم ولفت الانتباه إلى الأمر العظيم الذي يسأل عنه. ويعلمه أيضا أن الساعة ليست الموضوع السهل الذي يسأل عنه بهذه البساطة، بل إنها ساعة تحتاج إلى استعداد وحذر وزاد، وهنا نتبين فقه أنس بن مالك وهو يسأل ويدري الصعوبة في توجيه المشاعر لله ورسوله ﷺ. الحب الخالص الذي لا تشوبه شائبة؛ فمّنْ صَدَقَ في حبه لله ورسوله ﷺ ذاق حلاوة الإيمان، وما أبلغ جواب رسول الله ﷺ! "فمن صدقَ في حبِّ اللهِ ورسولِه أمِنَتْ عليه مَعْصِيتهما"؛ لأن المحب لا يعصي حبيبه وهذا فيه تعزيز وربط لكلّ جميل برسول الله ﷺ.

ولم يقل له إنها كائنة وأن فيها كذا وكذا وأهوالها وأحوالها ودقة صراطها، وإنما ردّ السائل إلى المسألة: وماذا أعددت لها؟ هكذا هدي النبي ﷺ يوجِّه لاستغلال الطاقات، والبحث عمَّا تحته عمل، يكفي مرة أو مرتين أن نقرأ وندرك ما ينتظرنا في يوم القيامة، ولكن هل يكفي أن نعلم ذلك ونحفظ تعداده؟ لا، ليس هذا هو العلم وليس هذا هو المطلوب، العلم أن تعلم كيف النجاة من تلك الواقعة، وكيف الخلاص من تلك الحاقة، أن تعلم كيف تتقن عملك وتُرتب أوراقك وأيامك ليوم اللقاء، وقبل أن تبدأ العمل تربي مشاعرك وأحاسيسك وحبك وبغضك، ولذلك أجاب

الرجل وببساطة ومن غير تعقيد: لا شيء غير أني أحب الله ورسوله ﷺ، أليست الأعمال ردود فعل عكسية للقلب ومحتواه؟! فأصبح لا بد لنا من أن نراجع حساباتنا ونبدأ بالمضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله.

كيف تحب الله ثم توادّ وتُصاحب من يعصي الله؟ عليك أن تُواصله لكي تصلحه وتُداريه لتُعلمَّه. وكيف تحب رسول الله ﷺ ثم تكون صحبتك وأهل مجالسك هم من هجروا السنة؟! كيف تُحب الله ورسوله ﷺ وتُباغض المؤمنين؟! كيف تُحب الله ورسوله ﷺ وتخذل المؤمنين؟! كيف تحب الله ورسوله وأمة محمدٍ ﷺ في الجهاد، وأطفالهم في اليُتْم، وأمهاتهم في الثّكل ونساؤهم أرامل في الضياع والقهر؟ ولا تُواسيهم ولا تنتصر لهم! فلنسائل أنفسنا ماذا أعددنا لتلك الساعة؟ نعم، نحن نبحث عن مشاعر الحب الخالص الذي لا تشوبه شائبة، ومن صدق في حبه لله ورسوله ﷺ ذاق حلاوة الإيمان، وما أبلغ جواب رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك في الصحيح (أنت مع من أحببت). فمن صدق في حب الله ورسوله ﷺ أمنت عليه معصيتهما؛ لأن المحب لا يُعصي حبيبه.

وفي الحديث أيضاً: (ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ طَعْمَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممّا سواهما، ومَنْ يحب في اللهِ ويبغِض في الله، ومَنْ يَكره أنْ يعودَ في الكفرِ بعدَ أنْ أنقذَه اللهُ منه كما يكره أنْ يُلقى في النارِ) [رواه الشيخان].

الحديث الثالث

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنتُ خلْفَ النّبِيِّ ﷺ يومًا فقالَ: "يا غلامُ، إنّي أُعَلِّمُكَ كلِماتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَك، إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بِاللهِ، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلى أنْ يَنْفَعوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفعوكَ إلّا بشِيْءٍ قدْ كَتَبَه اللهُ لَكَ، وإنْ اجْتَمَعوا عَلى أَنْ يَضُرّوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَضُرّوكَ إلّا بشَيْءٍ قدْ كَتَبَه اللهُ عَلَيْكَ. رُفِعَتِ الأقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ". وفي روايـة أخـرى: واعـلمْ أنّ النّصرَ مَـعَ الصّبْرِ وأنّ الـفَرَجَ مَـعَ الـكَرْبِ وأنّ مَـعَ العُسْرِ يُسْرًا".

أخرجه الترمذي

احفظ الله في تعبيد نفسك وجوارحك وعلمك وفكرك، وكل ما أعطاك الله إياه فهو لله. بذلك تنال حفظ الله ورعايته؛ فرعاية الله للعبد ثمرة لحسن عبادة العبد لله تعالى. وحسن العبادة معناه إتقانها. فالوضوء عبادة، والصلاة عبادة، والستر عبادة ومنه (الحجاب)، والصوم عبادة، والزكاة عبادة، وطلب العلم عبادة، وبِرّ الوالدين عبادة، وتربية الأولاد عبادة، وحسن عشرة الزوج عبادة، وحسن تبعل الزوجة عبادة؛ فمن أتقن هذه العبادات كان حقًّا على الله أن يحفظه ولا يضيعه.

احفظ الله تجده تجاهك؛ أي يتولاك فيتقرب منك ويدافع عنك، حتى يكون عينك التي تبصر بها، ويدك التي تبطش بها، فيهبك القوة والعزة والحكمة. فمن أحسن عبادة الله وأتقنها وسخّر نفسه لله عز وجل، فإنه لا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، يمنعه حفظ الله له من أن يسأل ويستعين بالفاني ويترك الباقي أو أن يلجأ إلى الميت ويترك الحي القيوم فمن كانت هذه حاله يحصل عنده يقين أن ما قسمه

الله له لن يخطئه، وما منعه الله إياه لم يكن ليحصل عليه. فهذا غاية الإيمان بالقضاء والقدر، وأسمى معاني الآية الكريمة ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ وأنّ الله لا يقسم لعبده المؤمن إلا الخير، فليرضى حتى يؤجر. وليحسن الظن بالله.

والنصر معناه تحقيق الغاية والهدف، والنصر هو ثمرة تأتي بعد طول انتظار. والمؤمن عمره ممتد وهو امتداد لإخوانه، فعندما نقول إن صلاح الدين الأيوبيّ حرّر المسجد الأقصى لا يعني هذا أنّ صلاح الدين بدأ من العدم فحرّر وانتصر، بل هو امتداد لحكام صالحين سبقوه مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي الذي يلقب بالخليفة الراشد السادس. فعندما قاربت الثمرة على النضوج جاء صلاح الدين وأكمل الطريق ووصل إلى الثمرة. فالنصر وتحقيق الغاية والهدف لا يمكن أن يرتبط بحياة شخص، قصرت أم طالت تلك الحياة، وإنما هو خط متميز بدأه رسول الله ﷺ، ولا ندري على يد من ستكون العودة إلى خلافة على منهاج النبوة، فإن الوعد آت، وكل مسلم يصبر ويصابر لتحقيق عودة الخلافة وتحكيم شرع الله في الأرض، فهو جزء من النصر الذي سيحقق بإذن الله ولا يأت الفرج، ولا يسمى فَرَجًا إلا بعد كَرْب وشدة وعذاب ودماء وهجرة وأشلاء ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾، فإذا حصل الزلزال النفسي وغلبته العزيمة الإيمانية وقع النصر وإذا حصل الزلزال النفسي وصاحبه اليأس، وبردت الهمة وأفلت العزيمة، تباعد النصر، حتى يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يواجهون الزلزال النفسي بعزيمة إيمانية، وصبر وثبات فيتحقق النصر ويفرح المؤمنون بنصر الله ويأتي الفرج بعد الكرب والجراح.

وإن مع العسر يسرًا، فما من عسر يستمر مع الدعاء والاستعانة بالله إلا يسره الله. هذه حقائق لا يراها ولا يعلمها إلا المؤمنون العاملون. فعلينا الأخذ بالأسباب، ندعو الله ونعمل، ونتقن أعمالنا، ونبذل جهدنا، ولا بأس أن يقطف الثمرة غيرنا من المؤمنين فإن الله لا يضيع أجر العاملين.

احفظ أولادك بالدعاء لهم فيكونوا أولادًا صالحين يدعون لكم (ولد صالح يدعو له) فمن علامات صلاح الولد الدعاء لوالديه.

الحديث الرابع

قال رسول الله ﷺ: "ما نَحَلَ والدُ ولدًا منَ نَحْلٍ أفضل من أدبٍ حسنٍ."
رواه الترمذي

ما نحل والد ولده؛ والنِّحْل هي العطية وقال تعالى في مهور النساء ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ أي عطية وهديّة. فما أهدى والد لولده هدية أفضل من أن يؤدبه ويحسن تربيته؛ فبالأدب الحسن الذي يجمع بين خيري الدنيا والآخرة يكون قد أدى الذي فرضه الله عليه تجاه أبنائه. فلا أطايب الطعام ولا فاخر الثياب ولا غريب الألعاب هي الهدايا الأحسن بل الأدب الحسن الذي هو علم الدين وأدب المعاملة وأدب الحديث وحسن تسخير الإمكانيات لله رب العالمين لحسن إدارة دفة الحياة، كيف نحيا لله وكيف نقوّي شوكة الدين وننكأ بالأعداء؟

فتبدأ بالقدوة الصالحة وتعليق القلوب بالمساجد ودقة المتابعة في أمر الدّين بها يكون الوالدان قد أسقطا عن نفسيهما عبء المسؤولية عن أولادهما بين يدي الله عز وجل. فالتربية ليست أصولًا اجتماعية ولا باتباع الموضة أو التصنّع في المظهر بل إنّ التربية توجيه الطفل إلى خالقه وحسن رعاية الفطرة فيه؛ فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقا) رواه الطبراني في الأوسط.
ناشئ ينشأ؛ أي تكون العبادة لله عادة له وطريقة حياة وطبيعة فكر فيكون عبداً لله لا يعرف المعصية وإذا وقعت منه فهي تصرف خاطئ لا يستطيع تقبله وحتى يكون هذا الناشئ فلا بد له من والدين يمثلان القدوة. فصغيرة الخطيئة عندهم كبيرة يستنكرها الجميع.

والناشئ في العبادة، هو الذي تربَّى وترعرع في طاعة الله حتى أصبحت العبادة له جِبِلَّة وعادة، فيستشعر أن الطاعة لله ورسوله ﷺ خلق مطلوب وسلوك قائم، وقوة دافعة، يلتزمه الكبار والصغار، الطاعة التي تربي البدن وتُغذي العقل والفكر وتحدِّد الطاقة لتكون كلّها مطواعة مسخرة لله رب العالمين، وأحياناً يجد الطفل الرباني هدايته واضحة ونفسه طيبة فلا تزال به أمه حتى تفسده وهي تحسب أنها تعلمه مجاملة المجتمع.

والصِّدِّيقيَّة درجة توازي درجة النبوة غير أنها لا وحي معها وما بلغها أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وأرضاه فكان صديقاً حقاً. أما الناشئ في العبادة فله أجر الصديقين مثل قوله الساعي على الأرملة والمسكين له أجر الصائم القائم فهو ليس صائماً ولا قائماً ولكنه بعمله هذا يحصل أجرهم، ففضيلتهم لا يحصلها كاملة تامة حتى يعمل مثل عملهم (يعني لذة العبادة والقرب) له مثل أجرهم، أي يلحق بهم. والعبادة هي الطاعة المطلقة لله ورسوله ﷺ. تؤدي إلى التفاني باسترضاء الله عز وجل، ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾.

الحديث الخامس

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع".
رواه أبو داوود والحاكم

مُروا أولادكم بالصلاة، والأمر يفيد بذل الجهد، أي أن هناك جهداً قد بذل في جعلهم مستعدين لهذه المبادرة، ومن الاستعداد فهم سورة الفاتحة، كل طفل على قدر عمره وذكائه واستيعابه، وأن يفهم معنى التوحيد الخالص بأن الله هو الخالق المعطي صاحب الفضل الذي يستوجب الحمد والشكر، والصلاة هي الطريقة التي يشكر الله بها. وكلمة مُرُوا لو أخذنا تكرار فعل الأمر فقط؛ نكون قد أمرنا أولادنا بالصلاة في السنة الواحدة ما مجموعه (5 في 365) يساوي 1825 مرَّة، وإذا ضربنا هذا العدد في ثلاثة وهي عدد السنوات ما بين الأمر والضرب يكون المجموع (5475) إنَّه أدب الثبات على الأمر، والقاعدة القرآنية تقول: التمكين ثمرة الثبات، والمواظبة على الأمر بالصلاة ثمرته أولادٌ مُصلون. وحبذا لو يضع المربي والمربية جدولًا للمحاسبة يتضمّن كلمتي: يصلّي ومصلي (يصلّي هو الذي يحتاج لمن يذكِّره بها أمّا المصلي فهو من ينهض للصلاة وحده) فقد وجدت لها ثمارا طيبة.

ولا بدّ أن يكون الأمر بالتحفيز والترغيب؛ فالوالد يشجع ابنه الصغير ويجعله في مصافّ الرجال ويعلمه ويدربه على الوقوف في صفوف الصلاة مؤدباً مراعياً عظمة الموقف بين يدي الله عز وجل، يعوّده الستر والحياء ولعلّ تدريبه أثناء صلاة السنن والنوافل في البيت قبل المسجد يكون أفضل. والأم تحبِّب وترغب وتقصُّ القصص،

وتُنظّم أوقات النوم حتى تنتظم صلاة الفجر، ففي البيوت التي تحكمها الفوضى غالباً لا يقوم لصلاة الفجر فيها إلا الآباء على استحياء مع إشراقة الشمس.

والفتاة إن وقفت تصلي وتقلّد أمّها بنفسها فلا شيء عليها، أما إذا أمرتها أمُّها بالوقوف إلى جانبها لأداء الصلاة أو اصطحبتها إلى المسجد، فلا بد لها من أن تُلبسها ملابس الصلاة الساترة حكمها في ذلك مثل الكبار، لتتعلم هيبة الموقف وعظمة الصلاة والوقوف بين يدي الله تعالى، وهذا عند جميع المذاهب.. ومطلوب من الوالدين لفت النظر إلى المعنى اللغوي والمعنوي للقول: "وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ".

أيها الوالدان والمربون، يجب أن تكون لكم بصمة تلقون الله بها؛ وتتمثّل البصمة هنا بالكلمة والتوجيه والمساعدة والبذل.

أما الضرب فلا يلجأ إليه الوالدان إلا إذا وجدوا عناداً واستنكاراً من أولادهما، وكما قيل: (آخر الدواء الكيّ) وهذا لا يحصل في البيوت التي يفتح الطفل فيها عينيه على أب يصلي وأمٍّ تصلي، فلا يستعمل الضرب إلا إذا علم الوالدان أنه عقاب مُجْدٍ؛ لأن بعض الأطفال إذا ضُرِب رفض الأمر إطلاقًا، وكلمة (اضربوهم) لا تعني فعل الضرب والإيذاء بالمعنى اللغوي وإنما تعني أنه حان وقت العقاب والتأنيب. فالضرب يكون على الكذب إذا حلف أنه صلّى. وهو لم يصلِّ وأصرّ على الكذب فلا بد حينئذ من انتباه الوالدين لهذا الأمر و لقطع الشك باليقين فعليه أن يتوضأ لكل صلاة حتى وإن كان متوضئًا.

وأما التفريق في المضاجع فهو حدٌّ لحاجز نفسي تربيه الأم منذ الصغر، وهي تبعد وتباعد بين الذكور والإناث في اللعب والزيارات ثم يباعد بينهم في النوم ليس بين البنات والأولاد فحسب بل بين البنات والبنات، وكذلك بين الذكور والذكور، وكثير من الناس يحسبون أن التفريق في المضاجع هو ألا ينام الأخ وأخته في سرير واحد، فهذا أمر بديهي منذ الصغر وقبل سنّ العاشرة، ولكن التفريق الواجب هنا بين الأخوة مع بعضهم والأخوات مع بعضهن للسلامة من بوادر الشذوذ الجنسي وتجنب مالا تُحمد عقباه. فالوقاية خير من العلاج، ناهيك عن نوم الصبي بجانب أمه أو نوم الفتاة بجانب أبيها.

الحديث السادس

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يابني إياك والالتفات في الصلاة فإن الالتفات في الصلاة هلكة".
أخرجه الترمذي

ومن رسول الله ﷺ نتعلم الترفق في النصح، فعبارة (يا بنيَّ) توحي بالود والقرب بين رجل هو رسول الله ﷺ وهو سيد المرسلين إلى طفل صغير يعلمه ويرشده باللهجة الحانية، يا بني، إياك والالتفات في الصلاة؛ أي الانشغال عنها بما يلفت رقبة الإنسان وهي الالتفات الفعلي وهو المتوقع من الأطفال، ثم يحذّر من الالتفات المعنوي الذي يخلّ بالخشوع؛ إذ ينبغي أن يتوجه المصلي بجسده وروحه ومشاعره لله رب العالمين؛ لأن من التفت عن الله إلى سواه هلك وشقي بينما يُعلَّم الصغير وينبّه حتى يحافظ على صلاته في كبره. فالكبير إذا التفت في صلاته التفاتاً جسدياً فسدت صلاته وإذا كان التفاته معنوياً فَقَدَ خشوعه ومن لا يخشع في صلاته فإنه ليس لله فيها حاجة وكما في الأثر" تُطْوى كما يُطْوى الثَّوبُ البالي، وتُرَدُّ عليه" ولذلك فإن تعظيم أمر الصلاة وإتقانها هو مهمة الوالدين والمربين.

ولا بد من تحقيق الأثر النفسي والعملي على الطفل بأن الصلاة أعظم وأهم حاجات المسلم في حياته. وعندما رأى النبي ﷺ رجلاً كثير الحركة في الصلاة، ويده تهيم في جسده من رأسه إلى ظهره، ومن يده إلى أذنه وهكذا فقال: "أمّا هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه". ولعلّ من فضائل الخشوع في الصلاة أنه يُعلِّم الصبر والانضباط.

إنّ الالتفات في الصلاة دليلٌ على عدم الإتقان في العمل، وأداء صورته فقط دون معناه، فالصلاة شكرٌ وأداء، فكيف يلتفت عنها من يؤديها؟ وهي موقف من مواقف الله عز وجل ينجو بها العبد من عثرات يوم القيامة، ومن أحسن لله في الوقوف في الصلاة في الدنيا أحسن الله إليه في موقف يوم الحساب، ولذلك نُعلم الأطفال ونُذكر الكبار بأن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، وأن الله عز وجل قال في كتابه الكريم ﴿ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾. أحسن؛ أي أتقن.

وأي عمل أجلّ وأجدر بالإحسان من عمل نصب الله عز وجل فيه وجهه بين المصلي والقبلة؟ إنها الصلاة، وبها مظنَّة النجاة.

وهنا سؤال يفرض نفسه: من يُعلم الأطفال الخشوع في الصلاة؟ والجواب، إنَّ الأب هو المسؤول عن تعليم الولد، والأم مسؤولة عن تعليم البنت، وكلاهما الأب والأم يُتابعان الأولاد بلا توانٍ أو كسل، عملاً بوصية عبدالله بن مسعود: (حافظوا على أبنائكم في الصلاةِ، وعَوِّدوهم الخيرَ فإنَّ الخيرَ عادة) [رواه الهيثمي].

وعلى الأب أن يقرن الأمور المحببة إليهم بالصلاة تعظيمًا لشأنها، كأن يأخذ الأولاد للنزهة بعد أداء الصلاة أو لشراء بعض الحاجيّات لهم، ويُنبّههم عند أخذ المواعيد ألّا تتضارب مع أوقات الصلاة. وكما يُعلم الطفل الفرائض لا بدّ أن يُعلمه السنن، ويُشرح له لماذا يصلي السنن كي يؤديها برغبة وقناعة، ولا بأس بالمكافآت التشجيعية في بعض الأحيان ليس لأنه صلّى؛ فأجر الصلاة على الله عز وجل، بل المكافأة لأنه لم يُؤخِّر صلاته أو لأنه ذكَّر إخوته بها، أو لأنه حرص على أدائها في المسجد.

ومما يجدر بالاهتمام ضرورة تهيئة أجواء الصلاة؛ وذلك بإجابة المؤذن وتجديد الوضوء ثم الانتهاء من الأعمال الشاغلة والتهيؤ للقاء الله ومناجاته. والإسراع إلى المسجد للأولاد ولمحاريب الصلاة في البيت للبنات.

الحديث السابع

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولاتعوجّوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه "تدخله" فالصراط هو الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم".
أخرجه الإمام أحمد

انتبه أن الداعي الأول هو القرآن يناديك، والداعي الثاني هو صوت الفطرة يُلحّ عليك فلا تتجاهل القرآن ولا تفسد الفطرة بتهوين الذنوب وتبريرها.

ضرب الأمثال أسلوب أدبي تربوي يقرّب المعنى ويعين على الفهم ويوضح المراد. وحبذا لو يطلب من كل طالب أن يفهم الحديث، ويوضح فهمه بالرسم حسب فهمه، لأدّى ذلك إلى أن تعم الفائدة ويرسخ المعنى؛ كأن نقول له: اسمع وانظر وتفكّر وارسم.

فالأبواب المفتّحة هي محارم الله والستور المرخاة عليها هي الحاجز بينها وبين الناس فعلى قدر الإيمان تثخن الحواجز أو تخف وعلى قدر الإيمان يبتعد الإنسان أو يقترب، فالمبادرة إلى فتح الستور مبادرة للوقوف في الشبهات ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ لأن الحديث "إن تفتحه تلجه" ومن فتحت أمامه الأبواب وقال إني

أخاف الله رب العالمين كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا أمر عظيم لا يقدر عليه كل الناس وقدر عليه يوسف عليه السلام. لذا لابدّ للمؤمن أن يبعد نفسه عن مواطن الشبهات وعن صحبة ضعاف الإيمان لئلا يقتحم الستور المرخاة ويقع في المهالك. وهنا تتفاضل الأمهات بالغرس الصالح فتقص القصص وتهمس في الآذان وتضم ضمة الحنان ثم تتضرع إلى الله ليهديها خير السبل للهداية.

إن الوازع الديني يقوى بالصحبة الصالحة ويضعف بالصحبة غير الصالحة، والإنسان هو المسؤول عن تزكية نفسه ليعتقها من النار، وهو أيضًا مسؤول عن تضييع نفسه وإقحامها في النيران والله الهادي إلى سواء الصراط. فالتحصين الأسري واجب الآباء والاصطبار على جني الثمار هو زاد المرحلة، لذا لا بد من التركيز على عبارات معينة تُعَلّق على الجدران في البيت أو في المدرسة ويحسُن أن تكون من تصميم الأولاد.

يجب حضور دروس تثقيفية للوالدين تتناول التركيبة الفيزيولوجيه للبنات والفرق بينهن وبين الأولاد حتى يستطيع الوالدان اجتياز المرحلة التربوية بهدوء ومتعة وتحصين، ويتحقق ذلك برفع سقف العبادة للبنات على مبدأ مريم التي أحصنت نفسها بنفسها ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ وزيادة وعي الفتية من خلال قراءة التاريخ وبطولات السلف؛ قال عبد الله بن عمرو بن العاص كان أبي يعلِّمنا الغزوات كما يعلِّمنا السورة من القرآن ويقول: احفظوها فإنها أمجاد أجدادكم.

ولا يغيب عن وعي الوالدين والمربين ثقافة حسن العرض وكيف يعرضون المبادئ ويغرسون القيم بالتحفيز والاقناع بما يناسب قوة العصر، لذا لابد من أن يكون الوالدان والمربون متعايشين مع الواقع كما لو أنهم أبناء عصرهم؛ فالمبادئ ثابتة غير أن مهارات نقل المعلومة وإيصالها تغيرت كثيرًا، وهذه مسؤولية القائمين على العملية التربوية. والأبواب المفتحة هي الفتن التي أصبحت تعج بها ديار المسلمين، فتنة السراء، وفتنة الضراء، وفتنة النساء، وفتنة الفتاوى - يُفتيها من لا علم له- والتي أصبحت تُصاغ وتُصب على المسلمين، وفتنة القهر والغلبة، ويبقى كتاب الله هو الهادي وسيرة نبينا ﷺ هي القبس المنير، والفرق بين السيرة والتربية مثل الفرق بين حفظ القرآن ودراسة الفقه؛ فالسنة هي نصوص العلم والاتباع فهي جزء من العقيدة السليمة، أمّا السيرة فهي الطريقة العملية الضابط للحركة.

ويبقى واعظ الله في قلب المرء، فهي الحلقة التي تُكبح بها جماح النفوس والشهوات؛ كبرهان يوسف عليه السلام، وبصيرة أبي بكر، ورشد إبراهيم عليه السلام، وعزيمة عمر رضي الله عنه وأرضاه، أما إذا فتحت الحلقة فعلى صاحبها السلام. وستبقى حلقات في أمة سيدنا محمد ﷺ عصية على الفتح حتى تسلم الراية من غير تبديل ولا تغيير، فطوبى لمن تمسك بالسنة عند فساد الأمة.

الحديث الثامن

عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك."
أخرجه الترمذي

وقال ﷺ: "هل أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم."
جزء من حديث أبو هريرة في صحيح مسلم

من البركة نالت أم حكيم الأنصارية رضي الله عنها وذلك عندما سعت بولدها أنس بن مالك إلى رسول الله ﷺ، لينال شرف خدمته والقرب منه. ومعظم الأحاديث التربوية رواها أنس رضي الله عنه، ووصف تلك الرحمة التي اكتنفته بالقرب من رسول الله ﷺ وهو يقول له: يا بني، كالوالد الحنون عندما يحدِّث ولده الحبيب يعلمه أن يسلّم، فإفشاء السلام سبب في المحبة وجلب الأنس وطرد الشيطان، ويدل على الأدب وحسن التربية؛ فالداخل يسلّم على أهل البيت يؤانسهم ويعْلِمُهم بمجيئه بطريقة مهذبة، وطرد الشياطين من البيت يجلب البركة على البيت وعلى من فيه، وهذا دليل على أن أخلاق الإسلام لابد لإرسائها من التعاون، ونبذ خلق الجهال، والانتصار بالباطل، وحَمِيَّةِ الجاهلية في الدفاع عن أخطاء الأبناء. بل الواجب أن نحمّل بعضنا بعضًا مسؤولية صلاح أولادنا وهذا هو المعنى الحقيقي لأمره عز وجل ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ وأي بِرٍّ أعظم من أن تصلح أجيال المسلمين ويرفعون الراية من جديد؟ فلو دخل الطفل ونسي إلقاء السلام على أمّه أو على المربي فلابدّ من المبادرة بالردّ عليه بعبارة: وعليكم السلام أهلا وسهلا هل نسيت أن تسلّم؟ أم أنني لم أسمعك. وحبّذا أن نعلمهم الإكثار من

السلام كلما دخلوا مكانًا ما في البيت أو غيره؛ فقد كان أصحاب النبي ﷺ إذا فرقت بينهما شجرة أو جدار يسلّم على صاحبه حبًّا ومودة أن التقاه ثانية ولذلك كانوا إخوة متحابين يُفشون السلام بينهم.

هل حدَّثنا أنفسنا يومًا بالمسؤولية عن تربية الجيل؟ وهل احترقنا و تألّمنا لما آلت إليه أوضاع المسلمين؟ هل احتضن كلّ جدٍّ حفدته يعلّمهم سنة نبيهم ﷺ؟ وهل تكفلت كلّ أمٍّ أن تُناصح بنات أخواتها وتكون بمثابة الخالة المحبة لهنّ؟ هل استشعرنا خطورة فقدان البركة من حياتنا؟ وهل تلمَّسناها في منعطفات الإخاء والمحبة وإفشاء السلام؟ هل تخلصنا من فتنة التفرقة بين الأعراق والجنسيات؟ هل نثرنا بذور الحب من خلال قول (السلام عليكم) لتردَّ علينا أنصافنا الأخرى (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)؟ هل كدنا عدونا الذي يزرع الكراهية ولا يزال يتمنى أن نتباغض ونتدابر ولا يتراجع! أقول: هل كدناه؟ وقلنا له ولأعوانه مجتمعين: موتوا بغيظكم إنا إخوةٌ مؤمنون، نادانا الله في كتابه الكريم، وأسبغ علينا نعمته بقوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

كثير من الناس يشح عليك بالسلام؛ لأن نفسه حدَّثته أنك دونه والسلام عليك يحطّ من شأنه، فتقول له: السلام عليكم فينظر إليك ثم يُشيح بوجهه عنك ولا يردّ السلام! أأبكمٌ هو؟ لا بل هو متعالٍ، صُرف قلبه عن الوصية النبوية (أفشوا السلام بينكم) فوقع في الغفلة عن الأمر ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا

ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾. فإفشاء السلام سنة والرد عليه فريضة، ومن أدبر عن الخير فماذا نملك له؟

الحديث التاسع

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه"، وفي رواية: "لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟".

رواه البخاري

الحديث فيه تلميح بأنَّ ما يُحذِّركم منه سيحل بكم إن غفلتم، وبدأه بلام القسم وأكّده بنون التوكيد الثقيلة، وأنه ليس قدراً مقدَّراً لا نقدر على ردّه، ولكن حصوله يكون بأسباب أولها وأعظمها: الفرقة والضعف والهزيمة النفسية واختلال ميزان الحبّ والبغض، (كيف ننسى أن نبينا ﷺ عندما عالج سكرات الموت يقول إني أجد أثر السّمّ الذي أكلته في خيبر هذا أوان انقطاع أبهري ياعائش) كيف لا تتقطع نفوسنا ألماً لفراق نبينا ﷺ؟؟ أليست زينب الخيبرية هي من سمَّت الكتف وقدّمته لرسول الله ﷺ؟؟ فلا يقع التقليد والإتباع إلا بعد محبة وإعجاب وزهدٍ في الإخاء. وجرح في الولاء والبراء من يسوس العالم اليوم؟ من يفصل له ليلبس؟ ومن يُملي عليه القبيح ويزخرفه ليراه حسناً؟ ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾. والإنسان قد يتبع مُحدَثاً يجهله مظنة الخير المجهول، ولكن أن يتبع محظوراً مكشوفاً، ونتناً مفضوحاً، حذَّرنا منه ربنا في كتابه ونبينا ﷺ بحديثه، فهذا لا يكون إلا بهوانٍ ومذلةٍ من التابع.

تتبعنّ سَنن وطرق ونهج من قبلكم وأنتم تصلون خمساً كل يوم! وتتبرؤون إلى الله منهم ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ولكنكم

على آثارهم تُهرعون، تهجرون العفاف إلى التبذل، والستر إلى الفضيحة، والعزة إلى المذلة، والاجتماع إلى الفرقة، والقوة إلى الخور والضعف. ومصيبة الأمة مرَّة، والمصيبة في المرأة ألف مرَّة، وهي مصنع الرجال، كيف تستبدل الحرة العفيفة الستر الفضفاض الذي أعزّها الله به! بما يُفصّل عورتها ويُجسّدها؟ كيف يُضيَّع عزّها وهي المسلمة وكيف تُهان كرامتها؟ تقوم الدنيا ولا تقعد، ويُجلى يهود بني قينقاع عن المدينة لأنهم تجرؤوا على خمار امرأة ضعيفة تبيع في السوق! فكيف تجرؤوا على رأس المسلمة فكشفوه؟ وعلى جسدها فعرضوه؟ وعلى قوامها فكسّروه؟ وعلى حاجبها فحلقوه؟ وعلى جمالها فغيروه؟ حتى عقلها عطلوه؛ ومن شدة تعطيله قالت: بل صلّحوه.. والمسلم حاضرٌ غير غائب: يرى أمَّه، ويرضى لزوجته، ويوافق لأخته، ويشتري لابنته. ولو دخلوا بالمرأة جحر ضبٍ ودخلت وراءهم لكان أستر لها ولأمة محمد ﷺ من هذا الهوان الفاضح، جعلوها دعاية التّجار وهدف الفُجّار، وهي التي ذكرها الله في كتابه عزيزةً مكرمة: المؤمنات العابدات السائحات الصائمات، وأعطاها من الحقوق ما لم تحظ بمعشاره نساؤهم، ولكنها فُتنت وحسبت التكشَف حرية! واستعبدوها من حيث لا تدري، فالله الله يا ابنة الإسلام، والحذر الحذر من العدو المتهوّد! وحريٌّ برجال الأمة أن يُعيدوا للمرأة مكانتها في العمل الدعويّ لتستعيد عزتها وتنهض بكبريائها، فإنَّهم أدعياء الحرية ومأفونون حقوق الانسان أقل من أن يتساقطوا عند أقدامها أو أن يطالوا ذيل ثيابها... وأنا أهمس في أذن المرأة وأسأل: كيف تربين الأجيال يا محضن الإسلام؟ وكيف تُخرِّجين الرجال وأنت معدومة الهُوِيّة؟ شغلوك بالغثِّ عن السمين، وبالتافه عن الأمر العظيم. هيّا بك إلى الحرية من كلّ عبودية إلا من العبودية لله رب العالمين.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ رجلا معه غلام فقال للغلام من هذا ؟ قال: أبي، قال: فلا تمش أمامه ولا تستب له ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه.

رواه ابن السني

بِرُّ الوالدين خلق يحتاج إلى تربية وتوجيه وقدوة ولفت انتباه ومتابعة، وكان الرسول ﷺ لا يغفل عن شيء فنبّه الغلام بسؤاله من هذا؟ السؤال هنا أولاً للتأكد وثانياً للتركيز والتنبيه لأمر مهم لأن كثرة الألفه تضيع الحقوق. فما دام هو أبوك فلا تمش أمامه ولا تستبّ له؛ أي لا تسبّ أحداً حتى لا يسبك أحد، ولا تعتدي على أحد فتجعله يسبّ أباك، ولا تجلس قبله، ولا تناديه باسمه فإن له عليك حقّ الأبوّة. فكيف إذا كان الولد أو البنت ينتهران أبويهما؟ أو يرفعان أصواتهما عليهما؟ وكيف بهما وقد رفع رجليه في وجههما لا يجيب السؤال ولا يرحم النداء؟ والفتاة أمام أبيها كاسية عارية لا هو يغار على شرع الله ولا هي تستحي منه، والأعجب من ذلك يكون الأب منهمكاً في العمل الدّعويّ، ولا يلتفت ولا يراعي حرمات الله التي تنتهك في بيته ولولا سكوت الآباء الصالحين على هذا المنكر في بيوتهم لما استبدل الحجاب الفضفاض بالبنطال الذي يجسد العورات، ويمحق البركات؛ فالأدب والاحترام للآباء والكبار والعلماء واجب تربوي على الوالدين مراعاته وأداؤه. ولعلّ هذا الأمر واقع في بيوت من يُحسبون من أهل الدّين بحجة أن هذا بين النساء، أما في الشارع فابنته وزوجته من أهل الحجاب الذي يحتاج إلى جلباب وخمار يستر زينة الحجاب، أقول: إذا كان هذا يدور في بيوت أهل الصلاح، فكيف بغيرهم؟ فالأدب والاحترام لشرع الله يُثمر الاحترام والتوقير للآباء والكبار والعلماء، ويُعظم

شأن الدين، وهو واجب تربوي على الوالدين مراعاته وأداؤه. أليس تغاضي الأولياء عن المنكرات في أهليهم يُصبغهم بالدياثة؟ وإن صاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون. وليس هناك أشدّ عقوقًا من ولد أو بنت عقوا الله ورسوله ﷺ فكانوا وبالاً على والديهم يوم القيامة، فاستحقوا مسبَّة الصالحين في الدنيا ومسبَّة الملائكة في الآخرة.

ولا تجلس قبله: أي لا تُسارع فتتخيَّر مجلساً لنفسك وتدعه، فهذا يتنافى مع مفاهيم البِرِّ والأدب، وهذا الحديث لا يعني الوالدين المباشريْن فحسب بل هو في حق الجدّين أولى، ومن طيب الفرع إكرام أصله، وإكرام الأعمام والعمَّات إكرام وبرٌّ للآباء، وإكرام الأخوال والخالات إكرام وبرٌّ للأمهات.

ولا تدعُهُ باسمه، ومثالنا في ذلك إبراهيم الخليل، عليه السلام، حين كان يتودَّد لأبيه الكافر، رغم أنَّه يبغض الكفر الذي فيه بُغض الموحِّدين للمشركين، ومع ذلك يُناديه ويُلاطفه (يا أبت) وهكذا يكون الأدب؛ ويؤيِّد هذا الخُلق ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ مِنْ أكْبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ والِدَيْه. قيل: يا رسولَ الله، وكيفَ يلعنُ الرَّجلُ والديْه؟ قال: يَسُبُّ الرَّجُلُ أبا الرَّجُلِ فيَسُبّ أباهُ ويسبّ أُمَّه". وأورد القرطبي في تفسيره: قال أبو البدَّاح التجيبي: قلت لسعيد بن المسيّب: كلُّ ما في القرآنِ مِنْ بِرّ الوالديْن قدْ عرفْتُه إلّا قوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾. ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيِّب: قولُ العبدِ المذنبِ للسَّيِّدِ الفَظِّ الغَليظ. وقد فسَّر عمرُ بنُ الخطابِ رضيِ اللهُ عنه القولَ الكريمَ بقولِه: هو أنْ يقولَ لهما: يا أبتاه، يا أمَّاه. ويُستحبّ للأولاد إذا أرشدهم الوالدان إلى خُلق أن يُدخلوا المسرّة إلى قلوبهم بالتواضع لهم ويقولون - هذه

فائدة - قاله ابن المسيّب. ويُثنون على والديهم بمآثرهم عليهم، فذكر مآثرهم في الدنيا بِرٌّ وبعد الوفاة إحسان، فهذا لا يدخل في المديح المنهيّ عنه وإنما يُكتب لهم بِرًّا، ويُحِثُّ الوالدان للرضا عنهم، فيكونون قدوة صالحة لمن حولهم وهذا في حضرتهم وفي غيبتهم، فهم كمن زرع شجرة ثم تذوق ثمرها*.

* رأيت عاملة قدمت من بلادها لتعمل عندنا، وعندما أرادت السفر طلبت مني أن أصحبها إلى السوق لتشتري بعض الهدايا لأهلها؛ أمها وزوجها وابنها وابنتها، فقلت لها: هلمّي إلى هذا المحل كي تشتري منه بعض الأشياء. فقالت: لا، هذا المحلّ خاصٌّ بالأشياء التي سأشتريها لزوجي، ولا يصحّ أن أشتري حاجته قبل حاجة أمي، (ماما أولا، ثمّ زوجي، ثم أولادي). والله لقد ذرفت عيني من غير قصد مني! هذه الأعجمية تفهم كتاب ربها أكثر من العربي الذي يدفع بأمه مع ولده إلى دار العجزة، أو ينتهرها، أو يتركها في البيت وحيدة مهجورة؛ ذنبها أنها بلغت عنده الكبر ولم يبق لها سندٌ غيره؟ حقًّا إننا بحاجة إلى تفعيل التدين الذي ندّعيه.

الحديث الحادي عشر

عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنهم قال: خدمت رسول الله ﷺ يوما حتى إذا رأيت إني فرغت من خدمتي قلت: يقيل "ينام بعد الظهر" رسول الله ﷺ فخرجت إلى صبيان يلعبون قال: فجئت أنظر إلى لعبهم قال: فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون فدعاني رسول الله ﷺ فبعثني في حاجة له فذهبت فيها وجلس رسول الله ﷺ في فيئ حتى أتيته واحتبست عن أمي عن الإتيان الذي كنت آتيها فيه فلما أتيتها قالت: ما حبسك ؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له قالت: وما هي ؟ قلت: هو سر لرسول الله ﷺ قالت: فاحفظ على رسول الله ﷺ سره. قال ثابت: قال لي أنس: لو حدثت به أحدا من الناس أو لو كنت محدثا أحدا به لحدثتك به يا ثابت.
رواه أحمد والشيخان

هذا الحديث الشريف ينقل لنا صورة حية من الحياة؛ فإن كان الحديث يحكي لنا ما فعله أنس ولكنه حقيقة يصور لنا شخصية رسول الله ﷺ يصور لنا القلب الكبير والصدر الواسع الذي يتحمل الصغار ويعلم الكبار ويرشد الضّال ويهدي العصاة ويصبر على الأذى ويحسن إلى الناس، ولا يقول إنسان إنه رسول الله ﷺ بل نذكر قول الله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ فكلنا نطمع بصحبة رسول الله ﷺ في الجنة فلا بد من الصبر والمصابرة والثبات والمعاناة حتى نعيش على ما عاش عليه وكي نموت على ما مات عليه. فيصف أنس نفسه وقد حدّثته باللعب وها هو رسول الله ﷺ يتبعه فرآه يلعب، ثمّ أقبل وسلّم على الصبيان فانظر إلى تواضعه، عليه الصلاة والسلام، فلم يبعث أحداً يناديه بل جاء بنفسه وناداه وبعثه في حاجة له

ولم يوصه بكتمانها ولكن السياق يدل على تربية سابقة، وجهد واضح، ثم تأخر عن أمه فلامته على التأخير ولما أعلمها أنه كان في حاجة رسول الله ﷺ قالت: وما هي ؟ قال ما كنت لأخبرك بها، فقالت: احفظ على رسول الله ﷺ سرّه، ثمّ نتعلم أدب الصحابة مع بعضهم فها هو أنس يعتذر لثابت ويقول: لو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك به يا ثابت، يداري بذلك مشاعر أخيه حتى لا يظن أنه يعزّ أحداً أكثر منه ولكن أعلمه بالحقيقة، وأن السرّ لا يجوز إفشاؤه ولا لأقرب الناس. ومن الأدب النبوي: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان)، حقًّا، ما أحوجنا إلى هذا الإخاء وذاك الأدب، اليوم في ثقافتنا الحضارية تعيش الأم وابنتها كأنهن غرباء، بل تعيش الأم وولدها كأنهم موظفون في مكاتب رسميّة، يُحسب لكل كلمة ألف حساب حتى لا تزعج ولا تجرح، وكلما كان هذا (الإتيكيت) حاضراً أكثر كان البيت أرقى وأعلى، وإلا ..!!

الحديث الثاني عشر

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله ﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة.
أخرجه الترمذي

الحسن بن علي بن فاطمة الزهراء رضي الله عنهم يقول حفظت من رسول الله ﷺ وذلك لكثرة ما يردد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العبارة "دَعْ ما يُرِيبُكَ إلَى ما لا يُرِيبُكَ"؛ أي دَع الشَّكَّ وتحرَّ اليَقينَ، ليس في العقيدة فحسب، وإنما في كل مناحي الحياة، فالظنُّ كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر "الظنُّ أكذبُ الحديثِ". وقال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال لرجل: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك قال: وكيف لي بالعلم بذلك؟ قال: إذا أردت أمراً فضع يدك على صدرك فإنَّ قلب المؤمن يضطرب للحرام، ويسكن للحلال، وإنَّ المسلم الورع يدع الصغيرة مخافة الكبيرة"، وخرَّج الطبراني نحوه، وممَّا يُوقع في الريبة كثرة السؤال وكثرة التتبع.

وللحديث معنًى آخر: دع الشُّبُهاتِ والمشتبهات إلى الحلال الصافي، فكلُّ أمر تشكُّ فيه دعه عنك، لتبقى صافي الذهن نظيف الصدر، واصْدُقِ اللهَ في أمورك؛ لأن الشكَّ ضيقٌ وقلق، والصدق طمأنينة، والشكُّ قائمٌ على الكذب. فالظن والريبة والشك والوهم كلها مصطلحات تنضوي تحت أبواب الكذب، والحقيقة والتبيان وحسن الظن وسلامة الصدر من الأحقاد، كلها من معاني الصدق، والصدق خلقٌ يُربَّى عليه الصغير، ويُتابع عليه حتى يُصبح له عادة، ولذلك وجَّه النبي ﷺ أصحابه رجالاً

ونساءً إلى تحرِّي الصدق، وما وجَّه رسول الله ﷺ لخلقٍ كما وجَّه لخلق الصدق، ولاحظ الدقة والانتباه منه عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث، فلا يصح للإنسان أن يظن في الشيء ويستنتجه، ثم يبني عليه تصرفاته ويخاصم من أجله، وربما يكون كله لا أصل له، بل إنّ أكثر ما يفرق الناس اليوم الظن والريبة، فعندما يتحرك الإنسان في الشكوك والظنون، ينشط له إبليس ويوسع عليه ظنه ويزين له خصام أخيه ليوقع بين المسلمين السوء والبغضاء.

وعلى مثل هذه المبادئ والقيم أنشأ رسول الله ﷺ إخاءً طيباً وصحابة كرامًا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من قال لصبي: تعال هاك أعطك ولم يُعطه كتبت كذبة" [أخرجه الإمام أحمد]. وبهذا نُدركّ أنَّ الكذب كذبٌ وإن كان على الصغار أو الكبار، أو كان من باب الجِدِّ أو المزاح فجميعه يُكتب، و يُسأل الإنسان عنه يوم القيامة ويُحاسب، فإما أن يُحشر مع الكذَّابين وجنود إبليس أجمعين، وإمّا أن يُحشر مع النبيِّين والصدِّيقين وحسُن أولئك رفيقاً. والأم هي أول من يُدرِّب الطفل على الكذب وأول من يُعلمه النفاق - دون أن تقصد لذلك - ولكن بيَّن رسول الله ﷺ أنها لا تُعفى من المسؤولية، والجاهل لا يُعذر بأن يبقى على جهله، ولكن يُعذر إذا بادر ليُزيل جهله ويتعلَّم، وعليها أن تتفقه في دينها وتعلم المسؤوليات التربوية التي تقع على كاهلها، والقاعدة الفقهية تقول: كلُّ ما وجَبَ عليك عمله وجبَ عليْكَ عِلْمُه، فالتربية مسؤولية الوالدين عامة والأم خاصة، فلتتق الله فيمن جعلهم الله تحت يدها، فما أحوج الأمهات لدراسة الفقه؟ وما أحوج الأسرة لجلسة التناصح والتعلم. إنّ دور الأم عظيم وعليها إدراك ذلك جيّدًا والبدء بهذا الأمر قبل بلوغ الأولاد سنّ المدرسة؛ حينما يخرج الطفل من دائرة البيت، وعليه لا بد أن يكون كأسه مملوءًا بالثوابت والقيم محصنٌ من الوافد المجهول.

- فعندما تسمح الأم لولدها أن يحمل معه ما أعجبه من بيوت الآخرين، تكون قد علَّمته الاعتداء على الحقوق!
- وعندما تتجاهل رؤية أقلام وأدواتٍ ليست له، ولكنها في محفظته؛ يتعلم الاختلاس!
- وعندما تتغاضى عن شراء ولدها لأشياء لم تعطه هي ثمنها، تعلمه عدم تحري الحلال!
- وعندما ينقل حديثاً على غير صورته التي كانت، توافقه على الكذب!
- وعندما تُعلم الأم ابنتها الصغيرة فنون المكياج، وتُدرِّبها على التزوير والإسراف، أو تثني عليها لأنها تُجيد مثل هذه الأعمال، تكون قد أذنت لها بمؤاخاة الشيطان! إنّ فنون المكياج شيئ وحب الزينة في الفطرة شيئ آخر فلننتبه.
- وعندما توصي الأم الأطفال أن يكتموا الحقيقة عن أبيهم، فهي تعلمهم الخيانة!
- وعندما تُعاقب الأم الابن الصادق، وتعدُّ الكاذب ذكياً ونبيهاً، تكون سببا فيما يؤول إليه حاله!
- وعندما يصحب الأب ولده ثم ينقل لزوجته أحاديث كاذبة جرت أمام ولده، أو إذا سألته عن أمر أخبرها بغير الحقيقة، والولد يسمع ويُحاكم فتلك مصيبة!

صورٌ كثيرة تدور في البيوت نتاجها جيلٌ من الكذَّابين أو المنافقين، يمتدحهم من حولهم بأنهم أذكياء يُحسنون التدبير، وفي الحقيقة إنّ الكذب ليس ذكاءً، والنفاق ليس نباهة، وإنما هو مرضٌ وداءٌ يصعب الشفاء منه، ومسؤوليته كبيرة بين يدي الله عز وجل.

وعلى مبادئ الصدق والاستقامة أنشأ رسول الله ﷺ جيلاً صادقاً وإخاءً طيباً، وصحابة كراماً، ووصية رسول الله دائماً: "تَحَرَّ الصِّدقَ ولو رأيتَ فيه الهَلَكَةَ".

الحديث الثالث عشر

عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ سنين والله ما قال لي أفٍّ قطُّ ولا قال لشيئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا ؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟ قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيئ صنعته لم فعلت كذا أو كذا أو لشيئ تركته هلا فعلت كذا وكذا. وفي رواية: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: دعوه فلو قدر أو قال لو قضي أن يكون كان.
أخرجه الشيخان

رضي الله عن أنس يقولها بشرف: خدمت رسول الله ﷺ فنِعْمَ الخدمة ونِعْمَت الصحبة، يصوّر لنا بصدق خلق رسول الله ﷺ. عشر سنوات كافية لتكشف الزّيف والتصنّع ولكن صدق أنس إذ يقول: ما قال لي أفٍّ ولا لشيئ فعلته لمَ فعلتَ كذا ؟ وهلّا فعلت كذا.

لم يتأفف وهو الرجل الوقور يدير دولة ويربي أمة، لم يتضجر من طفل صغير يلهو ويلعب، فمن يطيق صبر رسول الله ﷺ؟ لم يلمه قطُّ، ولم يتمنّ عليه، موافقة تامة ما دام ليس في الأمر حراماً أو مكروهاً، ولذلك كان رسول الله ﷺ أيسر الناس في أمور الدنيا وأدّق الناس في أمر الدين. ولا يفهم من هذا الحديث أن

المخالفات الشرعية يجوز التغاضي عنها، ولا نلوم ولا نتأفف بل نتعلم الدقة في الملاحظة، والعلم والفهم حتى يفرق بين الحق والباطل. ثم يصف الخلق المحمدي الكريم، فيقول ثم بعثني لحاجة ولكن في نفسي أن ألعب، والمربي المتمرس يلحظ هذه الرغبة في عيون الأطفال إذ يكون الطفل متشوقاً للعب أو أن اللعب شاغل عليه مشاعره فيظهر هذا في بريق عينيه، وقد لاحظ ذلك رسول الله ﷺ فأرسله ثم تبعه ووقف وراء ظهره يضحك، وضَحِكُ النبيِّ ﷺ هنا يدلّ على إعذاره، وانظر الأدب النبوي؛ لم يلمه أو يعاتبه بل سأله: ذهبتَ يا أنيسُ؟ يدلعه ويصغِّر له اسمه، وفي هذا بناء لمعاني الود والحب بين الطفل والمربي، بل يدع المجال للطفل ليصدق ولا يكذب، فقال أنس: أنا أذهب. لم يكذب، ولم يقل ذهبت ولم يقل أنا ذاهب بل قال: نعم أذهب إن شاء الله.

انظر الدقة في الجواب، هذا ما يجب علينا أن نتابع به أطفالنا، وما كانت من أنس موهبة، وإنما هي نتيجة الصدق الذي تربى عليه عند أمه أم سليم، ثمّ تابعه عند رسول الله ﷺ، يؤكد أنس أنه كان يقع منه التواني (الكسل) أو التأخير أو التقصير فلا يلومه ولا يسمح لأحد من أهل بيته أن يلوموه، بل يرضى ما قدر له ويرد الأمر إلى الرضى بالقضاء والقدر دون أن يقول: لو فعلت ولو فعلت ولو أنك انتبهت لم يقل من هذا شيئاً، وهذا مثال الخلق الطيب والرقي الإنساني في احترام حقوق الإنسان. فلو سمعنا هذا من أستاذٍ غربي لأشدنا به وتناقلنا أخباره وتحسّرنا على حالنا، فلماذا لا نبحث في سيرة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام؟ فهي كمال الرفق والإحسان، وهي أرقى وأحدث مواد التربية والصدق والإخلاص.

الحديث الرابع عشر

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والفرقة، وعليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة".
أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

وقال: "يد الله مع الجماعة".
أخرجه الترمذي

وأخرج الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: "وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع، قالوا: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم".

في هذه الأحاديث النبوية هديٌ أصيل لهذا الدين، تبرز فيه روح القرآن الكريم، ويتحقَّق بها مُراد الله في الأرض. ويبدأ الحديث بالتحذير من الفرقة لأنها آفة الآفات التي تُقرب من الشيطان، وتبعد عن الرحمن، ولو نظرنا في كلمات الحديث نجده بدأ بتحذير وأمر "إياكم والفرقة - عليكم بالجماعة"، فهل نملك إلا السمع والطاعة؟ ثم يقرِّر: من أراد بحبوحة الجنة؛ أي سعة الجنة ونعيمها فليلزم الجماعة، أمرٌ آخر وتأكيد على الالتزام، ثم يُعقب في حديثٍ آخر بقوله: يد الله مع الجماعة، فالبركة والقوة والمدد الرباني كله ببركة الجماعة، ولعل المؤمن الحق يتساءل من هي الجماعة ؟ وماذا يعني الزم الجماعة؟ وإليك الشرح.

الجماعة هي جماعة المؤمنين الذين يجتمعون لتحقيق أمر الله في الأرض، والجماعة هي المجال الوحيد الذي يوظف كل طاقات المسلم، ويُعمِل كل الغرائز بدرجات متساوية ومتوازية في الوقت نفسه، فتتكون الشخصية السوية المتكاملة الخالية من أي انفصام أو اعوجاج، والمحصَّنة ضد كيد الشيطان. والأصل في الجماعة أن تكون دولة وإمارة يحكمون بما أنزل الله، ويطبقون حكم الله في الأرض، جنسيتهم الإسلام وشريعتهم القرآن والسنة، لا يفرقهم لونٌ أو جنس، يوسدون الأمور إلى أهلها، وينصحون لكل مسلم، أرضهم ديار المسلمين وقبلتهم واحدة، وعدوهم واحد، هدفهم واحد ويسعى بذمتهم أدناهم، ويردُّ أغنياؤهم فضول أموالهم على فقرائهم، هذه هي جماعة المسلمين، أما إذا لم يتحقق ذلك كله، فعلى قدر الموجود، فلا بد أن يعيش المؤمن بروح الجماعة، وأن يعمل على إيجادها؛ لأن إيجادها عبادة وتحقيق لمراد الله في الأرض، فالله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

ورسول الله ﷺ يقول: "وأنا آمُرُكم بخمسٍ أمَرَني اللهُ بها: بالجماعةِ، والسمعِ، والطاعةِ، والهجرةِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ، فمَنْ فارَقَ الجَماعةَ قَيْدَ شِبْرٍ فقد خلق ربقةَ الإسلامِ من عنُقِه إلّا أنْ يرجعَ، ومَنْ دعا بدعوى الجاهليةِ فهو مَنْ جثا جَهَنَّمَ. قال رجل: وإنْ صامَ وصلّى؟ قال: وإنْ صامَ وصلّى، فادعوا بدعوى اللهِ الذي سَمَّاكمُ المُسْلِمينَ". ويقول لعلي وقد سمعه يدعو لنفسه: "عمِّمْ يا عليُّ ولا تَخُصَّ فإنه أرْجى لِلإجابةِ"، أي لا تقل: اللهم ارحمني، اللهم اغفرْ لي، بل قلْ: اللهم اغفر لنا اللهم ارحمنا، وهذا مصداق ما أراد ربنا بقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

إنها روح الجماعة تسري في كيان هذا الدين، ومن الجماعة ينبثق الإخاء والحب في الله، ويتحقق أمرٌ كريمٌ لله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾.

كيف نتعاون ونحن متفرقون؟ بل كيف نتعاون ونحن متدابرون؟ كيف نتعاون ونحن لا يحبُّ بعضنا بعضاً؟ ولا يعذر بعضنا بعضاً؟ بل ولا يقبل بعضنا نُصح بعض؟ كيف نتعاون ونحن بعيدون عن روح العمل الجماعي؟ كيف نتعاون ونحن كالغنم القاصية تنهشنا الذئاب؟ كيف يُمكِّن الله لنا ديننا ونحن نُخالف بين أفعالنا وأقوالنا حتى في إياك نعبد وإياك نستعين؟

فالجماعة تُربِّي الفرد الصالح، وتتحمل مسؤولية الجاهل، وتتحرق على الضال، ويُقدِّم فيها الفرد المخلص مصلحة الجماعة على مصلحته، وهل هذا إلا خلق الإيثار الذي افتقدناه يوم افتقدنا روح الجماعة؟ وهل مصلحة الجماعة إلا العمل على إرضاء الله عز وجل، وتعبيد العباد لله رب العالمين؟ والجماعة تثري الإنسان بالخبرات والتجارب، والجماعة تستعصي على كيد الكافرين وأمنياتهم ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾.

والجماعة هي مصنع القيادة، وهي راية العزة والكرامة، والميزان الذي نعرف به أنفسنا هل نحن نعيش اليوم دعوى الفرقة والجاهلية؟ أم دعوى الله التي ثمارها القوة والغلبة والعزة والعدل؟ ولكن للأسف نحن نعيش الحالة الأولى فسلَّط الله علينا مَنْ لا يخافه ولا يرحمنا، فلندع الأقوال والفلسفات ولنَعُدْ إلى الهدي النبوي ففيه الخلاص.

لقد اجتمع الكفار ليفرِّقونا، وتعاونوا ليمزِّقونا، وأجمعوا أمرهم ليبعدونا عن ديننا وأخلاقنا، فكيف نتحصَّن منهم؟ إن لم يكن بالجماعة فبماذا؟ إن الجماعة هي القوة التي تستعصي على الضلال والخديعة، واليوم ينظر الفرد المسلم فيرى جماعاتٍ عديدة كلها تعمل في الساحة ففي أيٍّ منها الخير؟ والحق واحد لا يتعدد فأي منها على الحق؟ والحقيقة أن كل العاملين المخلصين على الخير والحق إذا وافق عملهم منهج رسول الله ﷺ وكل العاملين يجب أن يعملوا في محور واحد، ويتعاونوا على أمر واحد، ويُسدِّد بعضهم بعضاً، ولا يقبلوا أن تكون لهم صفة مُعيَّنة بعيدة عن صفة بعضهم أولياء بعض يُعرفون بها، فإمّا أن تسودكم الفرقة والبغيضة أو كونوا عباد الله إخواناً. لا أن يتفرَّج الناس على العاملين ويُشبعونهم غيبة ونقداً، فإن الذي يعمل هو الذي يخطئ، والمتفرِّج هو الذي يتصيد الأخطاء، ولا مكان في الدين للمتفرجين!

لن يكون هناك خلاف إذا وجدت الجماعة التي تهتم بالتربية والسلوك، والجماعة التي تهتم بالاجتهاد الفقهي، وأخرى تُرابط على الثغور، وجماعة تهتم بتخريج العلماء، هذا كله لا يتعارض إذا كان الجميع حريصٌ على وحدة الأمة، والجميع متفقٌ على وقت عقد ألوية المجاهدين وتسييرهم، والجميع يُسدد جبهة القتال بالعلماء والفقهاء، وكلهم يمدُّ بالمال والدعاء، ولا تنتقص جماعة من جماعة، ولا تسمح لأحدٍ أن يمسَّ جسدها الواحد، عندها تُصان حرمات العلماء، وتتحقق حصانتهم في مقولة أن لحومهم مسمومة، ولا يوجد عاقل يقول إن الأمة كلها يجب أن تشتغل بأمر واحد، إلا إذا دهمها العدو فتستنفر الأمة كلها حسب قرب العدو وخطره، كما نفر القرَّاء في حروب الردة؟ ولو نظرنا اليوم إلى حال الأمة عندما تفرقت وتشتّت شملها، فماذا حلّ بها؟ ألم يتطاول علينا القاصي والداني؟ أما استُبيحت الحرمات؟ أما رخص الدم المسلم؟ أما عاقبنا الله فسلبنا هيبتنا وسلط

علينا بغاة الأرض وقساة القلوب؟ أما استهدف عدونا مآذننا كما استهدف أطفالنا؟ أما استهدف قرآننا كما استهدف شبابنا ومجاهدونا؟ أما شاركناه حربه عليهم ووصفناهم بما وصفهم؟ فلنتفكر كيف أخطأ أبانا آدم؟ وماذا كان العقاب؟ ألم يكن العقاب المباشر كشف العورات؟ والعقاب اللاحق الطرد من الجنة؟ وهل كان خطأ آدم عن علم وإصرار؟ كلّا. ولكننا اليوم نُعصي بإصرار أو نعايش العصاة ولا نُبالي وهذا بعض إصرار.

إن المَخرج الوحيد من هذا الذل البئيس الذي ضُيِّعت فيه الأمانات هو العودة إلى العزة بكتاب الله الكريم والتمسك بسنة سيد المرسلين، واقتفاء سيرة المبعوث رحمة للعالمين، والعودة الجماعية إلى قانون النصر الإلهي وأسبابه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

إنَّ كثيراً من المسلمين اليوم قد خذلوا المجاهدين ولم يخلفوهم بخير، كثيرٌ منا يدعم اقتصاد أعدائنا، ومؤسساتنا تُدار بغير أيدينا، بل صُرفت الأموال لتدعم اقتصاد الأعداء، ولا تستطيع نساؤنا أن تترك شيئاً لله تدعم به مسيرة الجهاد، فكيف يتنزل النصر على هؤلاء المخلصين من المجاهدين وفي الأمة كَمٌّ من المتخاذلين. لقد باتت جبهاتنا مفتوحة من كل جانب، ودماؤنا تسيل على كل تراب، ونساؤنا ترفل في الزينة، وعرض المفاتن أمام النساء والولدان (وهذا حال من تدَّعي التقوى والفلاح) إن المعاصي غدت عادة وحلت البدعة محل السنة، أما التبرج في الشوارع والشواطئ فحدِّث ولا حرج. بينما اليهودي الذي يبكي عند حائط البراق مدعياً ترك حياة الدعة والترف لأن دينه هكذا أملى عليه. نساؤه وبناته لا تلبس (البناطيل)

لأنه صاحب دين ونساؤنا يتخطين الوعيد ويلبسن ما يتعدى الحدود الربانية، استوى في ذلك العالم بالنصوص والجاهل بها، والله المستعان على حال أمةٍ خُدعت فضاعت وضيعت، صُنع لها طعامُها بأيدي غيرها، وحيكت ثيابها بأيدي غريبة، وخُططت لها برامجها، والمسلمون اليوم بصلاتهم وصيامهم وشكليات دينهم وسطحية تفكيرهم، وخروجهم عن الفقه والفهم إلى حفظ النصوص فقط جعلهم على خطر عظيم في دنياهم وآخرتهم حسب ما مرّ معنا في الأحاديث الشريفة، وفي كل هذه الشدائد ومن بين كل هذه الخطوب المتوالية تلوح لنا بشارات الحبيب الهادي، ومنارات الطريق، فإن الفجر آتٍ والرسول ﷺ يقول: "لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة، قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال: في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس" [رواه أحمد في مسنده]. وعن سمُرة فيما رواه أبو داود قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا فزعنا بالجماعة، وبالصبر والسكينة إذا قاتلنا.

وفي بلاد الشام اليوم للمجاهدين راياتٌ مرفوعة، والمسجد الأقصى وهو ميزان الأمة أسيرٌ حزين، وصدق الإمام ابن تيمية بقوله: (من أراد أن يعرف حال المسلمين فلينظر إلى بيت المقدس فإن كان بخير فالأمَّة بخير، وإن كان بيت المقدس بِشَرٍّ فالأمَّة بِشَرٍّ) فلنفكر مَلِيًّا ولنلزم الدعاء بعد كل صلاة (اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه وثبتنا عليه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وأبعدنا عنه). إنّ بيت المقدس أسير وبلاد الشام تحرقها الحاويات والمكر اللعين، والعراق غدا فقيرًا، ومصر أمسك بزمام أمورها أجيرٌ، وتسلّط على أهل القرآن كل حقير، فيجب علينا أن ندرك أن بلادنا هي الأرض المباركة ولن يدعها الله بأيدي أعدائه، إنها بلاد الشام وفي حديث أبو هريرة رضي الله عنه دليل، قال رسول الله ﷺ: "إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي هم أكرم العرب فرساً وأجودهم سلاحاً يؤيد الله بهم

الدين" (السلسلة الصحيحة). وعلينا أن نرتقي في مدارس الأتقياء لنتعرف على أهل الحق فنلحق بهم لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

فالفرقان فضلٌ من الله وبصيرة يمنُّ الله بها على عباده المتقين، فيعرفون الحق وأهله، ويكثرون سوادهم لقوله ﷺ: "من كثر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم كان شريك فيما عُمل به" [رواه أبو يعلى عن ابن مسعود].
ويُحبونهم لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
ويمدُّونهم بأموالهم ومقدراتهم، ويُعينونهم بكلّ ما أنعم الله به عليهم رجاء ما عند الله ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

والواجب اليوم والإسلام جريحٌ كالطير مهيض الجناح، أن تلتحم الأمة بالعلماء الصادقين، والدعاة المجاهدين، وتنهض من كبوتها، وتستغفر من ذنبها، وتُحدِّد أهدافها، وتُحسن التوبة، وتدع السلبية التي فرضها عليها عدوها، من قبل أن يأتي اليوم الذي ستشرب الأمة كلها بغير استثناء من الكأس الذي تشرب منه بلاد الشام اليوم، وستندم ولات ساعةَ مَنْدَمِ فالأمر لم يعد يحتمل التسويف.

أقول: إن الواجب علينا أن نكون لأمتنا لا عليها، وأن نتخلى عن الفتن التي نبرر بها أخطاءنا، فالعزلة للعبادة فتنة، والانقطاع لأداء عبادةٍ بعيداً عن هموم المسلمين

فتنة زيَّنها الخوف من تحمُّل التضحيات، أو الحرص على المال والمصالح الدنيوية، فانعزل الصالحون في مساجدهم وبيوتهم وتناسوا ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

ونذكرهم بقول ابن مسعود رضي الله عنه عندما بلغه أن رجالاً من الكوفة خرجوا من ديارهم ونزلوا قريباً يتعبدون فأتاهم ففرحوا به فقال: ما حَمَلَكُم عَلى ما صَنَعْتُم؟ قالوا: نَتَعَبَّدُ. فقال عبدالله: لوْ أنّ كلَّ النَّاسِ فَعَلوا مِثْلَ ما فَعَلْتُم فمن كانِ يُقاتلُ العدوَّ؟ وما أنا ببارحٍ حتّى ترْجِعوا. ولجميعِ المتفرقين نقول: هذا هو سبيل رسول الله ﷺ فلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

ولنستبشر بالبشارات النبوية، والفرج المختبئ وراء خيوط الصبح ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

الحديث الخامس عشر

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه.
رواه أحمد والطبراني

هذا الحديث من أعظم المبادئ في السلوك والتربية "ليس منا" هذه العبارة تكشف عن المشاعر الحساسة لدى الناس الذين يتأثرون بهذا المعنى، وهي لا تعني الكفر ولا الطرد، ولكن تعني انقطاع المفاهيم والآداب والأخلاق، فكانت كافية للردع والتنبيه "ليس منّا مَنْ لمْ يُجِلَّ كبيرَنا" أي من لم يحترم كبيرنا ويقدِّره ويوقِّره ويوسّع له ويقدّمه في الجلوس، وفي الحديث وفي الضيافة، وهنا الكبير في الإسلام لا يقتصر على الأقارب كالجد والجدة بل كلّ من تقدم به العمر أو كانت له مكانة علمية أو دينية، وهي تحت بند (أعْطِ كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه).

"ويرحم صغيرنا" فمن صور الرحمة القبلة، ومنها الملاطفة، ومنها المداعبة، ومنها قول النبي ﷺ: "مَنْ كانَ له صبيٌّ فلْيَتَصابى لَه". ومن الرحمة بالصغير تعليمه الأدب والدِّين والتوجيه الدائم حتى يصبح إنسانا صالحًا في المجتمع.

"ويعرف لعالمنا حقه" فخصّ العالم هنا لأن العالم إن وُجِد ولم يُحترَم يكون هذا دليلٌ على أن الناس الذين حلّ فيهم هذا العالم جُهّال؛ لأن حيتان البحر تستغفر لمعلم الناس الخير، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لمعلم الناس الخير، فمن باب أولى أن يعلّم الصغير احترام العلماء لأنهم رموز الدين، وتبجيلهم وتوقيرهم تبجيل للدّين وتعظيم له، فيتعلم الصغير معنى آية سورة الفاتحة ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ ﴾، إنّ هؤلاء العلماء هم من الذين أنعم الله عليهم فيدرك أن أعظم نعمة أنعمها الله ذكرت في الحديث الذي يبدؤه رسول الله ﷺ بما النافية "ما برّ". وهنا نذكر الحديث الذي رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ما برّ أباه من سدَّد الطرف بالغضب"، فلن يلحق هذا الولد بالبر وأهله مهما عمل ومهما أحسن، لأنه بدأ الحديث بـ (ما النافية) التي تنفي العمل، هذا من نظر إلى أبويه نظرة غضب، فكيف إذا كان معها كلمة تأفف أو رفع صوت بضجر أو التفاتة أو حركة تعبِّر عن انزعاج وتذمُّر؟ فالله الله في المربين ليعلّموا الطفل أدب الحديث وخاصة مع الوالدين، فالحديث مع الوالدين والعلماء والكبار يجب أن تُستعمل فيه أفضل صيغة مهذبة يتحدث بها الإنسان، يُصاحب الحديث ابتسامة ودٍّ ورحمة، وخفضٍ للجناح أي بانكسار ورجاء، وكلما كان الوالدان أكثر صلاحًا كان احترامهما أوجب، وبالتالي يكون العقاب من الله أشد بعقوقهما. فالوالدان وإن كانا مشركين يُطالب الإسلام أولادهم بالإحسان إليهم، ودعوتهم إلى الدين بالسلوك والمعاملة قبل الكلمة، وكم من الناس دخلوا في الإسلام بسبب المعاملة الطيبة والأخلاق الإسلامية الرفيعة، وعندما تؤنب الأم أو الأب ولدهما أمام الناس - وهذا خطأ تربوي فادح- أقول: وإن حصل مثل هذا من الولد فيمكن أن يُقابل بابتسامة رضا ونظرة رجاء، فيرتفع هذا الودّ في أعين الناس لأن الله سيرضى عنه ويُرضي عنه الناس، ومن حُرِم البِرَّ حُرِم الجنة.

وهنا ملاحظة تربوية يجب أن يُربّى عليها الناس، وهي أن البرَّ ومستلزماته من معاملات وحب وخفض للجناح شيء، والحب الغريزي شيء آخر؛ فالحب الغريزي يشترك فيه الإنسان والحيوان، والمسلم والكافر، فكل أبوين يحبّان أبناءهم وكل الأبناء يحبّون آباءهم، ولكن المؤمن أرقى من ذلك فهو يحب والديه ويحب أبناءه؛ لأن الله أوصاه بحبهم وبرّهم والإحسان إليهم، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ

أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. فترفع الملائكة أعماله في القربات، وإن سأل الله بها فرّج الكربات، ومنه دعاء الرجل الذي كان في الغار وأغلق عليه باب الغار حتى ظنَّ الهلاك فقال: (اللهم إنه كان لي أبوان كبيران وكنت آتيهما باللبن أسقيهما، وأتيت مرّة فرأيتهما نائمَيْن فأشفقت أن أوقظهما وأولادي يتضاغون حولي وبقيت أنتظرهما حتى يستيقظان، اللهم إن كنت تعلم أني فعلته من أجلك - أي لوصيتك لي بهما - ففرج عنّا فانفرجت الصخرة وانفتح باب الغار وخرج) جزء من الحديث المشهور في رياض الصالحين. ومَنْ بَرَّ والديه إرضاء لله لا يتأثر بمعاملتهم له إن كان فيها تقصير أو جور، وإنما يحتسب أجره عند الله، ويعمل بقاعدة الإسلام الذهبية (لا ضرر ولا ضرار) فإن قصَّر الوالدان فهو لا يُقصّر.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسرٍ، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سّهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه". رواه مسلم

الكُرُبات كثيرة والدنيا تضيق بأهلها، وكل إنسان يرى كربته هي أشد الكرب، ويفرح إذا وجد من يقف بجانبه ينفِّس عنه كربته ويؤنسه في شدة المحنة.

والله عز وجل الذي لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير تعهَّد سبحانه أن يُفرِّج عن هذا الإنسان كُربة من كُرب يوم القيامة. وكُرب الدنيا كلّها مجتمعةً لا توازي كُربة من كرب الآخرة ولكنه كرم الله وجزاؤه، فهو الذي أوصانا بالإيمان وهو الذي جمعنا بالإخاء، وهو الذي جعل الحب الصادق يسري في قلوبنا لكلِّ مَنْ نصر الدين، فالمؤمن الذي لبى نداء الإيمان وأحب إخوانه من أجل الله، ونذر نفسه ليرحم الصغير ويُعين المحتاج، ويكفل اليتيم، ويُجهِّز المجاهد ويُخلفه في أهله، ويُعطي الفقير، ويواسي المسكين، ويكون في حاجة الغريب، ويعود المريض؛ حتى أصبح ملاذ إخوانه وأمل أصحابه، هذا هو المؤمن الذي يُحبه الله ويُنفس عنه كرب القيامة، ويُيسِّر الله أمره في حياته وبعد مماته، ويحفظ له أولاده من بعده، فمن

للعبد إذا حانت لحظة الاحتضار؟ ومن يُسخِّر له حبيباً رفيقاً يُحسن إليه في غسله وكفنه؟ ويستر له عوراته في حال عجزه ومغادرته هذه الدنيا؟ ومن يسدل عليه ستره في الآخرة ويقول له: عبدي، أنا سترت ذنوبك في الدنيا واليوم أغفرها لك؟ والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

فهيا بنا إلى بناء الجسد الواحد، وهيا بنا إلى التلاحم بعد التفرُّق، وإلى التضامن بعد التمزق، وإلى التآلف بعد التباعد، وأحبُّنا إلى الله مَنْ يتنازل لأخيه، وكما جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ما توادَّ اثنان في الله فيُفرَّق بينهما إلا بذَنْبٍ يُحْدِثُه أحَدُهُما، ومَنْ سَلَكَ طَريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنَّة" [رواه مسلم]. أيُّ علم عُقَدْتَ فيه النِّيَّةَ لنفْعِ المسلمين وقُوَّتِهِم، وأيُّ علمٍ يَسُدُّ ثغرةً عنْدَ المسلمين أو يرفع رايةً لهم ويجعلهم الأقوى هو خطوات في طريق الجنة، وليس المقصود فيه التماسُ العلم الشرعيّ فقط؛ إذ إنّ العلم الشرعي أمرٌ بديهي، وإلا كيف يعبد المسلم ربّه على بصيرة (وهو التكليف)، إلّا أنّ العلم المطلوب هو كل علم يُحقق إرادة الله في الأرض ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ فأي قوة بلغها العدو يجب أن تكون قوة المسلمين أعظم وأحكم.

وكأن في الحديث توجيهًا إلى أنه لا يفقه هذه المعاني السابقة كلها إلا قومٌ اجتمعوا على كتاب الله يتدارسونه، ويفقهونه وقال: "يتلون كتاب الله"، والتلاوة: قراءة التدبر والتعاهد على العمل والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، "إلا ونزلت عليهم السكينة": أي ما يسكن به الإنسان لتلقِّي الرحمة، "وحفتهم الملائكة" فما أكثر الملائكة في البيت الرباني.. فليحرص المسلم على الاستئثار بهذه المجالس فهي كرامة الدنيا وعزُّ الآخرة، "وذكرهم الله فيمن عنده" وذلك لكثرة الملائكة التي تصعد

بعمل أولئك المؤمنين فيباهي الله بهم ملائكته، وهناك حقيقة يجب أن يُدركها الناس وهي أن من قصَّر في العمل لن ينفعه النسب وإن كان من كان، فمدار الكرامة وعلوّ المكانة إنما يكون بالعمل الصالح الذي يرتكز على الإيمان الصحيح والفهم الدقيق. وصدق الإمام الشافعي رحمه الله بقوله: (لو لم ينزل على المسلمين إلا سورة العصرِ لَكَفَتْهُم).

الحديث السابع عشر

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ وهو يقول: "لا إله إلا الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ كم من كاسية عارية يوم القيامة".

قال الله تعالى مخبراً أمهات المؤمنين بين الدنيا والآخرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

وعند أم سلمة لنساء الأمة محطة وموقف تأمل؛ فماذا أنزل من الفتن التي أيقظت رسول الله ﷺ؟ وماذا أنزل من الخزائن وهو الذي يقول: "ما تركت فتنة أضرّ عليكم من النساء!" والمرأة تستطيع أن تكون مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشرّ إن آمنت واتقت وأحسنت الاتباع، وكما أنها تُجيد أن تكون على العكس تماماً. وهنا يتطلع النبي ﷺ إلى أزواجه ليقمن فيصلين لعل الله يكشف بِصَلاتِهِنّ الغمة والفتنة "من يوقظ صواحب الحجرات" - أي زوجاته - ليبرأْنَ إلى الله من الفتن؟، ثم يقول متأسفاً ومتعجباً لما سيكون في هذه الدنيا: "كم من كاسيةٍ في الدنيا عارية يوم القيامة؟" كاسية بضيِّق الملابس الذي يستر العيوب ويُبرز المفاتن، فهذه سيحاسبها الله حساب العارية! وكاسية بملابس مهفهفة تزيدها فتنة وتكسّراً فهذه سيحاسبها الله حساب العارية! وكاسية في الدنيا بثيابٍ يحسبها الناس ثياب التقوى ولكنها ثياب زيفٍ وخديعة، فيحاسبها الله حساب العارية! وكاسية مكتسية بعمامة والدٍ

أو سُمعة زوج ولكنها عن كليهما بعيدة! ففي الدنيا اكتست بثوبٍ غير ثوبها، ولكن عالم السرِّ وأخفى سيحشرها عارية عن هذا كله!

والمرأة تلك الريحانة التي تعمّر البيوت وتربِّي الرجال، ما لها وما الخداع والكذب لتُحشر في مواقف لا طاقة لها بها؟ لماذا تأبى أن تكون ناعمة الملمس رقيقة المشاعر تحمل ظُهر الملائكة وتأسر بجنانها القلوب العاتية؟ لماذا تختار دنيا دنية؟ أيخدعها بريقٌ كاذب أم دجالٌ منافق؟ أليس لها بزوجات النبي ﷺ أسوة حسنة؟ أليس هو رسول الله ﷺ صفيُّ الله وخيرة خلقه؟ لماذا يحميه الله من هذه الدنيا؟ أهو الحرمان أم الترفع والاستعلاء؟ أليست نساؤه خير النساء؟ فلماذا يطلب الله منه أن يخيِّرهن بين الدنيا وزينتها والدار الآخرة التي أعدها الله لهنَّ بصحبة الزوج الحبيب؟ إنه لن يحرِمْهُنَّ زينة الدنيا إن اخترنها ولكن سيُفرطنَ حينها بالدار الآخرة (ليكنَّ كاسياتٍ في الدنيا بهالةٍ كبيرة وصفةٍ عظيمة - فيقال: الزوجات الطاهرات، وفي الآخرة يكنَّ عاريات عن هذا التكريم - حاشا لله)، فاختارت أمهاتُنا رضوان الله عليهن الدار الآخرة! إنَّها دار الأتقياء، دار السعداء، دار السرور والحبور، عندما خيَّر عائشة الصديقة وقال: استشيري أبويك، قالت: أفيك أستشير أبويَّ يا رسول الله؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. وكذلك باقي أمهاتنا فعلن رضوان الله عليهن.

ولذلك يا أخت الإسلام، أفيقي من غفلةٍ طالت وكذبةٍ سادت، وعودي إلى الأصالة واليقظة فقولي بربك: هل هذه الملابس هي كرامة المرأة المسلمة التي عناها الله في كتابه وشرفَّها بحمله والمحافظة عليه؟ أهو بنطالٌ مرصوص أم أكمام تائهٍ مخمور؟ القطيفة المزركشة أم الفتحات الطويلة؟ الأرجل المعكوسة أم الزنود المرسومة؟ أهو تكسّر وخلاعة أم تبذل ورقاقة؟ ما هذه الانتكاسة والمرارة؟ أأصبحت دمية بخيط؟ أم ترساً يُهدّف عليك كل من هبّ ودبّ؟ قاموا بنقض المفاهيم فقالوا لك: الحنة

عيب؛ لأنها رمز القديم والتأخر، والطلاء هو البديل ففعلتِ. وزيَّنُوا لك الوشم وقالوا عنه تحضّر، وعابوا عليك الضفيرة ثم زينوا لك حبلة ملفوفة وعُرف ديكٍ بألوانٍ ممزوجة، وقالوا: هكذا تكونين (موديرن) ومحبوبة!! فهل صدّقت هذه الأكذوبة؟ وما فعلوه بالرجل لا يقل صفاقة وخنوثة، فُتحت له صالونات تجميل فحفَّ وجهه ووشم جلده، وطوَّل ظفره وأرخى بنطاله، وجعل من شعره مسامير نعش الرجولة، وخلعوه ألقاباً يندى لها جبين الحرّ.

قرنٌ مضى ونحن نتردَّى، أكُتِبَ علينا أن نظلَّ دهرنا نبحث في التقليد الأعمى؟ وألاَّ نحيا مستعبدين ننتظر من يُشرِّع لنا؟ وأيّ منفعة لنا في هذا الزّور الدخيل علينا؟ فما دمنا مسلمين نصلي ونركع ونسجد، فإنه يقول لنا: دعوني فلست لكم.

لم يدخلوه علينا كفكرة لتناقش فكرة بل فكرة لتهزم فكرة، ورذيلة لتُنحِّي فضيلة، إنه مخططٌ وضع بليل ليُطفئوا به نور الله بأفواههم، وكل مشوار يبدأ بخطوة.

فما على أمة محمد ﷺ إلا أن تعود شامخة أبيِّة، فالمجد لها والعز بقرآنها. وما انتفاشة الباطل إلا ساعةً من نهار، جعلوا الأمة تلهث وراء فتوى شيخٍ متمشيخٍ وزلة عالمٍ مُتعالم! تارة استهدفوا الحجاب، وقالوا جمود، وتارة مسخوا الجهاد وسموه إرهاباً، ونقَّ أهل التنوير بحداثة التغيير ولكن على الأمة أن تُدرك ثوابتها فهي لا تحتاج لبرهان؟ كما أنَّ الشمس لا تحتاج الضياء! فالجلباب والخمار بأوصافه في الآيات المحكمات، والجهاد ذروة سنام العدل والأخلاق، وفي ظل الأسرة بين الودِّ والرحمة يعدُّ الرجال أتمّ إعداد، وفي المساجد تتبدد الظلمات بنور العلم وآيات الكتاب، وفي ساحة المعركة يفوح عبق المكرمات، وعندها ستكون أمتنا أسعد الأمم، ومن هناك سننطلق - بإذن الله -.

الحديث الثامن عشر

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ عندما توفي أبوسلمة وكنت غلامًا - أي طفلًا صغيرًا - وكنت عند الأكل آخذ من طبق الطعام لقمة من هنا ولقمة من هناك، فعلمني رسول الله ﷺ أن أُسمّي الله على طعامي ثم آكل باليد اليمنى، ثم أتناول من الطعام الذي أمامي، فما زالت طُعمتي.

عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ عندما توفي أبوسلمة وبقيت أم سلمة أرملة أم عيال فأكرمها رسول الله ﷺ وضمها إلى الشرف النبوي وكان ابنها عمر صغيرا فتربى في حجر رسول الله ﷺ - أي في بيته وتحت رعايته - فيقول عمر رضي الله عنه: وكنت غلامًا - أي طفلًا صغيرًا- وكنت عند الأكل آخذ من طبق الطعام لقمة من هنا ولقمة من هناك، فعلمني رسول الله ﷺ أن أُسمّي الله على طعامي - أي أبدأ الأكل ببسم الله - ثم آكل باليد اليمنى حيث فيها البركة وبها يُمنع الشيطان من الأكل مع الإنسان، ثم أتناول من الطعام الذي أمامي ولا يعني هذا أنه إذا كان هناك أشكال مختلفة على المائدة ألّا آكل إلا من صنف واحد بل آكل من أي طبق اشتهيت ولكن ممّا كان من الطرف الذي يكون قريبًا منّي - أي لا تتخير أكبر وأجود وأفضل ما في الطبق - بل يأكل بالمعروف ممّا أمامه، وهذا بعض آداب الطعام التي أرشد إليها النبي ﷺ يقول عمر رضي الله عنه: فما زالت طُعمتي - أي لا زلت ملتزما هذا الأدب في كل عمري - يعني لا يحتاج للتنبيه في كل مرة، فاليوم نحن المسلمين نعاني خللًا في العملية التربوية، فتعظيم السُنَّة حتى تتحقق الأسوة الحسنة هو منهج حياة، وقد ورد أن عمر بن عبدالعزيز مات ولده عبدالملك، وكان شاباً تقيّاً ورعاً، وكان خير ولدٍ أعان

والده على البرّ والتقوى، تقول الرواية: وبينما عمر يمشي في جنازة ولده رأى أحد المسلمين يُشير لآخر بشماله، فقال: يا هذا لا تُشر بشمالك، وأمره بالتيامن (أي أن يُشير لأخيه بيمينه)، فقال له الرجل: عجباً لك يا أمير المؤمنين، أما شغلك مصابك في ولدك عن شمالي ويميني؟

فكثير من الآباء يوجهون أبناءهم إلى هذه الآداب وهم أنفسهم بعيدون عنها أو قد يلتزمون بها في بيوتهم أما إن كانوا عند أحد آخر أو في دعوة عامة فيخرجون عن تلك الآداب ويحسبون أن أولادهم لا تراهم وينسون أن هذا يذهب ببركة التربية؛ فإذا خالفت الأقوال الأفعال فشلت العملية التربوية ونحن نعلم أن الجزاء من جنس العمل، فإذا حفظنا الله في كل أحوالنا حفظنا الله في كل أحوالنا وهذه هي التقوى، فالمسلم صاحب سلوك واحد في ليله ونهاره وفي سره وعلنه وبذلك تصلح الأمة.

الحديث التاسع عشر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكانت تأتيني صواحبي فينقمعن من رسول الله ﷺ وكان يسر بهن إلي فيلعبن معي.
رواه الشيخان

عائشة أم المؤمنين المعلمة الفقيهة تروي لنا كيف تربت في البيت النبوي الشريف فتقول: كنت ألعب بالبنات ـ أي بالألعاب ـ وهذا دليل أن الألعاب ـ أو ما تسمّى بالعرائس ـ ليست حرامًا، لم تقل لها عين وليس لها عين فما دامت ممتهنة للعب فليست بحرام، وكانت تأتيها صاحباتها ـ أي نظيراتها في العمر من البنات ليلعبن معها وكنّ يخجلنَ من رسول الله ﷺ فيختبئن منه، وكان يبدي لهن عليه الصلاة والسلام البشر والترحاب بهنّ ـ أي يُسَرُّ بمجيئهن، فما أعظم هذا الخلق النبوي الشريف، وكان يقول: اقدروا قدر الجارية العربة السن ـ أي اقدروا قدر البنت الصغيرة في العمر.

فالطفل بحاجة إلى وقت للعب ويُوجّه من خلال لعبه ويُعلم الآداب الإسلامية ليكون مسلما في لعبه ولهوه وجده وعمله. وفي حادثة زواج عائشة، شرعت ألسنة الطاعنين في الإسلام ونبيه ﷺ، همزاً ولمزاً، لا بشيء لمسوه ولكن بأمرٍ افتعلوه، وما ورد أثرٌ واحد ينقل مشكلة حصلت من أجل حقوق الزوج، ولا شكاية واحدة من أجل مأكل أو مشرب، بل الذي نقلته السيدة عائشة نفسها أن النبي ﷺ كان يرفعها لتنظر لعب أهل الحبشة، وينتظرها حتى تمل وتنصرف، وقالت: كان رسول الله ﷺ يسابقني، ويستمع لها وهي تقص عليه القصص كحديث أم زرع الطويل، فكان عليه الصلاة والسلام يسَعُ الصغير والكبير، وارتقى بعائشة إلى أفضل

المستويات التي تتحدث عنها المؤسسات التربوية اليوم، لا ارتقاء كلام ولكنه حقيقة واقعية، ولا ارتقاء استغلال، وكما روى عن الصحابة الأعلام أنهم إذا اختلفوا في الأمر ذهبوا إليها وقالوا: أفتنا يا أُمَّنا، فلينظر الرجال إلى سيرة سيد المرسلين الذي كان يُدير دولة ويتلقى تشريع أمة، ويُرسي معالم السنة في الأخلاق والمعاملات، ويؤانس تسع زوجات، غمرهنَ جميعاً بعدله وأسعدهن من ذات نفسه، أنْعِمْ به من عظيم تتغنى الدنيا كلها بسيرته التي لم تر ولن ترى مثلها فيما طلعت عليه الشمس، فمن أراد دروساً في بناء الذات فليسعد بسيرة المصطفى، ومن أراد طريق النجاح في الحياة ليكون عَلَماً متميزاً فليدخل دورة النهج المحمدي، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

الحديث العشرون

قال رسول الله ﷺ: "إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك".
رواه الترمذي

والشرك يكون خلجات في القلب ولذلك قال: "الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه" رواه مسلم.

هذا الحديث في الأصول وفي البناء، يقول فيه الرسول الكريم ﷺ: إذا كان يوم القيامة الذي لا يشكّ في قيامه مسلم ويوم الحساب وهو يوم الجزاء، والإنسان فيه لا أمل له إلا بالله ولا يرجو أحدًا غير الله، ينادي منادٍ ـ أي ملك من الملائكة ـ من كان يعمل في الدنيا ليراه الناس أو لتقول عنه الناس وتمتدحه فليطلب أجر أعماله منهم فإنه لا شيئ له عند الله، وإن الله لا يقبل أن يشاركه أحد ولا يرضى أن يشارك هو أحد، فمن كان عمله مخلصا لله فليأت حتى يجزيه الله أجر أعماله، ومن كان عمله من أجل مصلحة أو دنيا أو أي شيئ غير الله فليطلب أجره من هناك، ومن منع الأجر من الله فقد منع من دخول الجنة، أليست الجنة لله ينعم بها على عباده؟ أليست الجنة هي الأجر من الله على العمل؟ وهل يملك أحد غير الله جنة ليُدخل بها الناس؟ كلّا، فمن أراد أن يدخل الجنة وينال النعيم فليجعل أعماله خالصة لله، وحتى نتعلم الإخلاص لا بد لنا من تربية القلوب لتتحسس الإثم ونحرص أن يكون الصلاح لنا جبلة لا نجيد غيره أمام الناس وبعيدًا عن الناس سواء أكان في البيت أم في المدرسة أم في المسجد أم في الحديقة، ففي كل مكان يرانا الله

ويسجل لنا أعمالنا ليجزينا بها الجنة، فمن كان عمله خالصا لله يعني ذلك أنه قد تخلّص من الرياء والنفاق فيكون جزاؤه الجنة. وقال سيدنا عيسى عليه السلام: (الخالص من العمل ما لا تحب أن يحمدك الناس عليه)، وقال الإمام أحمد: (أشد شيء على النفس الإخلاص لأنه لم يترك لها حظًّا).

وأخطر شرك وقعت فيه الأمة هو طاعة الهوى واتباع الشهوات، وسبب ذلك بُعدها عن الفقه، فلم تعد تعلم كبير الذنوب من صغيرها ووقعت في الغثائية (السطحية في الفهم) فتضخمت عندها أشياء على حساب أشياء أخرى ذات أهميّة كبيرة، ولذلك لا بد من دراسة الفقه والتفقه على الأصول المعتمدة، ولا بد من دراسة فقه الأولويات - وقد صدر كتاب بهذا الموضوع للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي جزاه الله خيراً - ولا بد من إقامة الميزان الدقيق الذي توزن به الأمور قبل تنفيذها، وتربية الإرادة، فما وافق الدين والشرع ومراد الله أخذناه، وما خالف تركناه غير مأسوف عليه. وتحقيق مراد الله هو العلم ومنه الارتقاء إلى التقوى، ويسبق كل ذلك الإكثار من الدعاء: (اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه وثبتنا عليه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وأبعدنا عنه).

الحديث الواحد والعشرون

قال رسول الله ﷺ: "اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا وإذا حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة".
رواه الحاكم

في هذا الحديث أيضا تحذير من الرياء وهو العمل الذي يُقصد به غير الله ويحب أن يراه الناس، كالذي يقرأ القرآن أمام الناس بالتجويد والصوت الحسن غير أنه يقرأ القرآن في صلاته مسرعًا لا يُراعي التجويد ولا التحسين في القراءة فهذا رياء، أو من يصلّي بين الناس بطمأنينة إلّا أنه إن صلّى في البيت منفردًا كانت صلاته عجلى سريعة بلا اطمئنان، وهذا صورة من صور الرياء، ومثل ذلك كثير من الأعمال، فالإنسان يجب أن يكون صالحا لله وهمّه أن يحبه الله ويرضى عنه فهذا هو المؤمن، والمؤمنون هم عباد الله وأولياؤه - الذين يسلمون ويستسلمون لله ولا يهمهم أحد إلا الله - فهم ميزان الله في الأرض فإذا عاداهم الإنسان أو ضحك منهم أو استهزأ بهم فكأنه يحارب الله عز وجل؛ فالله تعالى يدافع عنهم ويحارب من يعاديهم، فهم الأبرار الذين يبرون الله عز وجل ويطيعونه، وهم الأتقياء الذين لا يعملون ليراهم الناس ولا ليتحدثوا عنهم ولكنهم إذا وُجِدوا لا يعرفهم الناس وكأنهم المشهورون ولا يحزنوا إن لم يكونوا مشهورين، بل لا تهمهم الشهرة بين الناس ولكن قلوبهم كأنها مصابيح مضيئة؛ فنور الهداية استقر في قلوبهم الخالية من الذنوب التي تترك ظلمة في القلب، فهؤلاء الأتقياء قلّت ذنوبهم حتى انعدمت، بل إنّ قلوبهم أصبحت مضيئة مليئة بالنور يخرجون من كل غبراء مظلمة حتى إذا وقعت الفتن فهم لا يُفتنون ولا يستطيع أحد أن يقلب لهم الحقيقة لأن الحق في

قلوبهم، أصبحوا أهلًا له حاملين رايته؛ فكيف يُضيّعوه؟! ومن رغب في أن يصير مثلهم فلا بد له من طلب العلم (التفسير والفقه) وفهم الحديث النبوي الشريف.

ونحن نعيش في زمن كثرت فيه الفتن، وتلبّست على الإنسان في أمور يقف الحليم أمامها حيراناً، فالقرآن يدله على الدواء بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. فثمرة التقوى الفرقان، والالتحام بأولياء الله الصالحين. وهو حسٌ إيمانيٌ يُفرّق المرء فيه بين الحق والباطل. فيعبد الله على بصيرة ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. وقال: ﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. فهذا هو السبيل، وهذا هو الصراط فلماذا التخبط والضياع؟ إن بعض الناس يحسبون أن الثبات على الصراط والتزام البصيرة يعني أن يبلغ الإنسان حالة الملائكة المنزهين، أو درجة الرسل المعصومين، وهذا لن يكون ولسنا مكلفين به. وإنما يُريد الله منا أن نكون صالحين غير مفسدين، وحيثما حللنا تركنا أثراً صالحاً، وكرَّر الله علينا مراتٍ عديدة في طلب العمل الصالح الذي به يبلغ العبد منازل الرضوان والهداية. والعمل الصالح هو: كل عمل له أصلٌ في الشرع يُحقق مراد الله في الأرض ويقوِّي دولة الإسلام، ويرفع راية الدين، ويهدي الناس لعبادة خالقهم ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾. فهي سنة الأنبياء والدعاة من بعدهم ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾.

الحديث الثاني والعشرون

قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان".
رواه مسلم

يحذرنا الرسول ﷺ في هذا الحديث من أخلاق المنافقين، فمن وُجدت فيه صفات المنافقين فهو منافق، والنفاق يعني الكذب فهو يُظهر شيئا ويُخفي شيئا آخر، فمن صور النفاق أن يخدع الإنسان والديه بأنه يصلي وهو لا يصلي حقيقة إلا قليلا فهذا لا ينفعه عمله يوم القيامة؛ وإن صلى مع المصلين وصام مع الصائمين وحجَّ مع الحجاج وذهب إلى العمرة، ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لأن أمره كله قائم على الكذب، فهذا الإنسان إذا حدّث فلا تصدّقه لأنه كذاب، وإذا وعدك فهو يخلف الوعود، وإذا ائتمنته على شيئ فهو يخونك، فرأس الشرِّ الكذب، ومن كذب هان عليه إخلاف الوعد وخيانة العهد، والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ أي في الدرجة السفلى من النار.

والنفاق مثل الكذب يبدأ صغيراً ثم يتطور، حتى يصل إلى العقيدة والكفر والعياذ بالله، ويُدخل صاحبه الدركات السفلى من النيران، ومنه:

1. أن يظهر الإنسان بين الناس بسلوكين أو بوجهين، فتارة يُثني على هذا وأخرى يذمه.

2. وأن يُصاحب كل الناس؛ إذ يرى أنّ من عادى الله تعالى ومن اتقاه سواسية، المهم أن يُقال عنه اجتماعي وحَسَن المعشر، يخلط بين الصالحين والطالحين، ويتحرَّج من الأمر بالمعروف ويهش لأهل المنكر، وقد رأينا هذه النماذج التي تُداهن وتُلاطف وتُداور فلا تلبث أن تقع في المحظور الكبير، وهو موالاة أعداء الله التي تُحبط العمل، وصدق من قال: (إنّ مستعظمَ النارِ منْ مُسْتَصُغرِ الشَّررِ).

3. شرخ الولاء لله ورسوله ﷺ وإيذاء المسلمين وتتبع عوراتهم، فيُسخَّر حتى يُصبح عيناً على المسلمين - جاسوساً - عوناً لأعداء الله على إخوانه بني دينه وجلدته، فيقع عليه الوعيد، ففي الدنيا يتحول إلى مريضٍ نفسي يصفه الله عز وجل بقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾. وفي الآخرة يكون في الدرك الأسفل من النار، ومن صفاتهم أيضاً أنهم يعتذرون بحلف الأيمان: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.

4. ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

ومن صفات المنافقين التي ذكرها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أنهم:

- يبغضون المخلصين
- يشككون في المؤمنين
- يثيرون الفتن في ضعاف الناس

- يشغلون الناس بالتافه الحقير
- يوالون أعداء الله ضد المسلمين
- ينظرون للمسلمين نظرة دونيّة

ووصفهم رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن للمنافقين علامات: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشبٌ بالليل، صُخبٌ بالنهار" وإذا لزموا المساجد فهم أهل الضرار.

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له".
رواه أحمد

ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة وأشياء عدّدَها، وأشد ذلك الودائع.

يقول أنس رضي الله عنه أنه ما من مرة يخطب فيها رسول الله ﷺ خطبة إلا قال "لا إيمان لمن لا أمانة له" والأمانة أن يقوم ويرعى الأمر الذي أُعطي له وتحمّل المسؤولية عنه، فالصلاة أمانة فهل يحافظ عليها ويُؤديها كما أمره الله تعالى؟ والوضوء أمانة فهل يتطهر بشكل جيد؟ وهل يتوضأ كما علمنا رسول الله ﷺ، والوزن أمانة فهل إذا أخذ أحد من الناس شيئًا أو أعطاهم شيئًا أدّاه بدقة كما يجب؟ هل إذا ائتمنه أحد على شيئ ردّه له كما أخذه؟ هل يتحمل مسؤولية ما أؤتمن عليه؟ العلم أمانة فهو يذهب إلى المدرسة ويتعلم هل يُنقي العلم الوافد من الكفر والفساد ويحتفظ بالنافع المفيد لينقله للمسلمين؟ والصحبة الصالحة أمانة فهل يُصاحب من ينفعه في دينه ويُعينه عليه أم أنه يخون الأمانة ويُصاحب أهل الفساد؟ هذه كلها أمانات على المسلم أن يرعاها ليثبت الإيمان في قلبه. وكما ذكر الإمام النسفي:" إقامة الدين أمانة فماذا فعل من أجلها؟"

وأكبر الأمانات وأعظمها مسؤولية على النفس والمجتمع هي أمانة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فهل حقًّا لا معبود لنا إلا الله؟ وهل حقًّا لا نطيع إلا الله، وهل

حقيقة أنّ الشخصية العظيمة في حياتنا هي شخصية رسول الله ﷺ؟ هل هو مثلنا الأعلى نُمسي ونُصبح مقتدين به؟ متشوقين لرؤياه ؟ فخورين أننا من أمته ﷺ؟ مسؤولياتٌ وتبعاتٌ نردِّدها في جملةٍ عند كل ركعة صلاة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فهي أمانة وعهد وابتلاء في الطاعة فاتقوا الله ما استطعتم.

وفي الطهارة التي هي بوابة الصلاة أمور: فالتدّليك في الاستنجاء أمانة، وقصُّ الظَّفر من الأمانة، والمراد بقص الأظافر أو تقليمها هو: إزالة الزيادة مما يُلامس رأس الإصبع من الظفر، لأن الأدران تتجمَّع تحتها، وتنتهي إلى حدٍّ يمنع وصول الماء إلى جزءٍ يجب غسله في الطهارة مما لا يصح الوضوء بدونه، وقد أخرج البيهقي في الشعب (أن النبي ﷺ صلى صلاة فأوهم فيها فسئل فقال: وما لي لا أوهم ورفغ أحدكم بين ظفره وأنملته) ورجاله ثقات، والرفغ: المغابن وهي كل ثنايا الجسم، فإذا حكّ المرء مغابنه فيعلق تحت ظفره ما يؤثر فيه طهوره فيُوهمَ إمامه في صلاته، فكيف به؟ وما من أحد إلا ويعلم أن الصلاة عليها مدار الحساب، ومن قُبلت صلاته قُبل سائر عمله ومن لم تقبل صلاته لم يقبل سائر عمله.

إنَّ كثيراً من الناس يُطَمْئِنُ نفسه بأنَّ الله غفورٌ رحيم، وهذا حق ولكن ليس للمتعمدين مخالفة الهدي النبوي الشريف، وفطرة أبينا إبراهيم عليه السلام. إنَّ قصّ الأظافر من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا يحق لأحدٍ مخالفتها، ثم كيف يطمع بمغفرة الله!! كما أن تطويل الأظافر مُجافٍ للنظافة، بعيدٌ عن الطهارة، إذ كيف تستنجي صاحبة الظفر؟ بعيداً عن الإنسانية، وقاكِ الله من التشبه بذوات الظفر والناب، انظري ودققي النظر يا أخيّة؛ فبهذا المثل البسيط تُبتلى الطاعة وبأبسط الأمور يلج الإنسان قنطرة المعصية؛ ولذلك قال السلف: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، والطاعة كما تفسرها آيات الله عز وجل

هي العبادة، وعليها يرتكز جانب عظيم من جوانب الفهم، فإلى أي مدى نحن مضيّعون للأمانات؟ وإلى أي مدى نحن متهاونون؟

ولذلك ورد في السير وصية الأخ المؤمن لأخيه المسافر أن يقول له: أستودعك دينك، وأمانتك وخواتيم عملك، وفي مفهوم الدين الودائع هي الأمانات، وهي مسؤولية كبيرة، يُحمّلها الأخ لأخيه وهي: أن يتقي الله في دينه، أي في ذات نفسه فلا يُذلها بالمعاصي، وأمانتك؛ أي تبليغ دعوة ربك، وخواتيم أعمالك؛ أي انتبه فلا تضيع عمرك وأوقاتك فيُختم لك بسوء عملك. وهكذا يتواصى المحبّون. أرشدنا الله جميعاً ووفقنا لدراسة الفقه، وطلب العلم من معينه الصافي ومراجعة الموثوقة.

الحديث الرابع والعشرون

قال رسول الله ﷺ: "تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة".
رواه ابن أبي الدنيا

ركَّز رسول الله ﷺ على خُلق يُعدُّ من أهمّ أسس الحياة بل هو أساس كل خير فيها، ألا وهو الصدق فما أفلح الكذاب قطُّ، وهنا لم يقل اصْدُقوا أو لا تقولوا إلا الصدق، وإنما قال تحرّوا الصدق؛ أي ابحثوا عن الصدق والأصدق، وإن كان الموقف يُرينا أن الصدق في هذه الحالة مهلكة - أي يثبت على الإنسان حق يُحاسب عليه ويجرّه إلى مشاكل كبيرة - ففي مثل هذه الحالة أصدق ولا تقل إلا الصدق فإن الله يُنجيك لأن الإنسان الصادق يتولاه الله، ومن يتولاه الله ينجيه ويهديه وينصره على عدوه، فالصدق من الخير بل هو الخير كله؛ عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت: (أخبرني عن صفات رسول الله في التوراة، فقال أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن الكريم: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل، لا فظٌّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، يفتح به أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً" [أخرجه الإمام أحمد وأخرج البخاري نحوه عن عبدالله والبيهقي عن ابن سلام رضي الله عنهم أجمعين].

لا بدَّ من أن تعمِّق الثقة لأبنائنا بنبينا عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، فقد أصبحت الهجمة شرسة، وتآزر الشرق والغرب ليطفئوا نور الله بأفواههم، ورسول الله ﷺ وسيرته قبسٌ من نور الله فلن يقدروا عليه، ولكن ليبلو الله أخبارنا، فلا

بد من أن نُرسِّخ في عقول أبنائنا أن سيدنا محمدٌ ﷺ هو سيد الأولين والآخرين وهو صاحب الخُلُق العظيم، والقلب الرحيم، وهو الرحمة المهداة، وهو الإنسانية في أرقى صورها، وقِمَّة قيمها الحضارية، وهو سيد الرجال وسيد الأزواج وسيد الآباء وسيد المربين وسيد القادة، سيدٌ في السلم وسيدٌ في الحرب، سيدٌ في المحراب وسيدٌ في السوق، سيدٌ في الشجاعة والجدّ، وسيدٌ في الحلم والتبسم... وبهذه السيادات كلها مجتمعة هو رسول الله ﷺ سيد ولد آدم ولا فخر كما جاء في صحيح البخاري، وهو صاحب اللواء المحمود والحوض المورود والشفاعة الكبرى والكوثر الطهور.

فهو المتوكل على الله، كان رقيقاً عطوفاً، هادئاً أميناً في السوق، سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، عدلاً في القضاء، يُعين المحتاج ويرحم الضعيف، وينهض بالمسكين، ويُقدِّر الإنسان، ما فارق الدنيا حتى أقام الله به الملة العوجاء، وأنزل عليه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

فالرسول ﷺ شاهدٌ على هذه الإنسانية، تُعرَض عليه أعمال أمته في حياتهم فيفرح للمحسن ويستاء من المذنب، ويشهد لهم يوم القيامة كما يشهد للأنبياء وأممهم، ومبشرُ صدق فمن أحسن فله الحسنى ويعفُ الله عن كثير، وينتصر الله عز وجل للمظلوم وينتقم من الظالم. وقد كان نذيراً لمن أعرض واستكبر، حريصاً عليهم من سوء العاقبة يُخوِّفهم جهنم وبئس المصير، حتى قال له ربه: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

وهو حرز للأميين، هادٍ في الدنيا وشافع يوم القيامة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولن يضروا الله شيئاً والعاقبة لهذا الدين وأهله. ولو كانت البشرية التائهة التي تتقلد القوة الهوجاء اليوم ناصحة لتمسكَّت بالمسلم الذي هو صمَّام الأمان لهذه الدنيا، ووجود المسلم على هذه الأرض ضرورةٌ لاستمرار الحياة، لا تقل عن ضرورة الهواء والطعام والشراب، ولذلك حدَّثنا رسولنا الكريم ﷺ بأنه إذا ارتفع الإسلام من الأرض ولم يبق على وجه الأرض من يوحِّد الله انفرط عقد الكون، ودكَّت الجبال دكّاً. الحدث الذي لا يُماري فيه أحدٌ تحت أي مُسمَّى كان. فلنعزِّز الثقة بديننا وإننا على الحق المبين، ولا بدَّ من الابتلاء والجهاد والصبر والمصابرة والعمل لنصرة الحق وأهله حتى يأتي أمر الله أو نهلك دونه.

الحديث الخامس والعشرون

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين".
أخرجه النسائي والشيخان

يُقسم النبي ﷺ بالله بطريقة توضح الاستسلام الخالص لله"والذي نفسي بيده" أي والذي يملك نفسي فمتى شاء قبضها فهو الذي يحييني ويميتني، وهذا تأكيد على أن من ذكر ضعفه عند حديثه وأن نفسه هي ليست ملكه يكون صادقا، فأقسم بأنه لا يؤمن أحد ولا يُعد من المؤمنين حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من والده - أي من أبويه وأصوله - ومن ولده - أي أولاده وفروعه - والناس أجمعين مهما كانت قرابتهم ومنزلتهم.

لذا لا بدّ أن يكون الرسول ﷺ أحب من هؤلاء جميعا حتى يَكمُل إيمان المرء ولا يمكن أن نحب رسول الله ﷺ بهذه الدرجة إن لم ندرس عنه دراسة متكاملة: إنسانيته، شخصيته، ذكاءه، رحمته، رُقيّه الأخلاقي والاجتماعي، عبوديته لله رب العالمين، وأنه رسول الله ﷺ وحبيبه وأنه فضّله على الأنبياء كلّهم وعلى المرسلين، وأنَّ رسول الله ﷺ كان إنساناً تجمَّع فيه ما تفرَّق في عالم الإنسان كلّه من أمجادٍ ومواهب وخيرات. فكان صورة لأعلى قمة من الكمال يمكن أن يبلغها بشر.

إذا كنَّا على يقينٍ بهذا كله فلا يسعنا إلا أن نتبعه، ونتأسى به، وعندها يحق لنا أن نقول ونحن صادقون: إنه أحبُّ إلينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا وأولادنا والناس أجمعين، ونصدق الله عز وجل إذا قلنا: رضينا بالله ربّاً وبسيدنا رسول الله ﷺ

نبياً وأسوةً، وقائداً وبشيراً ونذيراً، فنتبعه ونقلده ونحيي سنته إذا هجرنا الناس، ونقوم بسيرته حتى تتحدث بنا الركبان، ونحمي هذا الدين وإن قُطِّعنا بالمناشير، وهذا لا يكون إلا من محبٍ صادق، ومسلم غيور، وإلا فهي القسوة والجفوة.

الحديث السادس والعشرون

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم".
رواه الشيخان

في هذا الحديث أدب نبوي تربوي ونصيحة من مؤيَّد بالوحي لا ينطق عن الهوى وإنما قوله حق، فإذا كان جنح الليل - أي حلّ أوله ما بين المغرب والعشاء - فلا تدعوا الأطفال يلعبون في الأماكن الخالية، إذ تنتشر في هذا الوقت الشياطين، فإذا ما سقط طفل أو صرخ فربما يتأذى الشيطان ويؤذي ذلك الطفل، وكذلك يجب تعويد الأطفال على الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ومن الممكن أن ندخل إلى حديث لطيف مع الأطفال عن عداوة الشيطان ومكره بالإنسان دون تخويف ولا تهويل ودون رواية قصص خيالية، فالقصد منه التعريف بالشيطان وليس التخويف من صورته وظهوره. ولا يحقُّ لأحدٍ أن يُحدِّث الأطفال ولا الكبار عن الجِنّ والشياطين وكأنَّ الله تركها تتلاعب بالإنسان وليس له وليٌّ يحفظُه ولا ربٌّ يحميه، والله يقول في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾.

ومن خاف غير الله أخافه الله من كل شيء، فالإنسان المؤمن لا يخاف من الشيطان وإنما يعاديه ويعصيه ويتعوَّذ من شره.

ومن المعلوم أن الشياطين في الليل أكثر انتشاراً ونشاطاً، فلذلك يُذكِّرنا الله في كتابه الكريم أنَّ من بعض جوانب رحمته منامكم بالليل؛ قال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

وقد ثبت في أبحاث الإعجاز العلمي أن غياب الشمس وحركة ودوران الأرض، وظلمة الليل كلها مرتبطة بدورة الدم عند الإنسان، والسهر الليلي الذي ابتُلي به عالمنا تحديدًا، وسائر الشعوب المتخلفة جعل هذا الإنسان يتصادم حتى مع أرضه التي يعيش عليها، وهذا بعض الفصام النكد الذي تدور الأمَّة في فلكه، في أوربا والغرب أكثر الناس ينامون باكرًا ويستيقظون باكرًا؛ استعداداً لعملٍ مركز وإنتاج مسؤول، أمَّا أمتنا فهي التي تتخبط فيما صدَّروه لها من تيه التصادم مع أرضها ودينها وفطرتها، لماذا يحدث ذلك كله وكتاب ربِّها منهاج حياتنا بين يديها فيه آيات بينات تبيانا لكل شيء.

الحديث السابع والعشرون

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُتي بي عند مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة فقالوا: يا رسول الله إن هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك فقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي.
رواه ابن عساكر

زيد بن ثابت صحابي جليل عُرف بذكائه ونباهته، وعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة جاءوا له بزيد وقالوا:"يا رسول الله، إن هذا الغلام قد قرأ القرآن" وهذا دليل على أنه كان قارئًا وكاتبًا ومتعلمًا، فانظري كيف كان لكل مقدرة عند المسلم مكانة يحتفي بها الصحابة، رضوان الله عليهم، ويعتنوا بصاحبها ويُعينوه ليُسخّر مقدراته لله عز وجل "فأعجب به النبي ﷺ" وانظر هذا التكليف النبوي فلم يقل له اِلزمْنِي لتحفظ مزيدا عندي ولكن قدّر عنده هذه الملكة - ملكة الحفظ - وما رأى عليه من النباهة، فطلب منه أن يتعلم لغة اليهود ويقرأ التوراة حتى يكتشف مكرهم ودسّهم على القرآن، فلو أننا وجّهنا أذكياء المسلمين ونبهاء المؤمنين ليتسلطوا على اليهود ويكشفوا مكرهم، ولو أننا عملنا بسنة النبي ﷺ وقدّر بعضنا بعضا، واستفدنا من المواهب التي وهبها الله للمسلمين لكان حالنا أفضل من أن نتحاسد ونتدابر ونقلل من شأن بعضنا بعضًا حتى أصبحنا ضعفاء أذلاء مستبعدين من قيادة العالم، فلننتبه إلى معنى هذا الحديث ولْنَقْتَفِ أثر النبي ﷺ في توجيه الطاقات لخدمة الإسلام والمسلمين. فتقدير الكفاءات يرتقي بالأمة للعطاء والابداع.

ولنكرم الموهوبين، ولننفق على المفكرين، فما قامت حضارات الغرب إلا بأدمغة رجالنا وعظمائنا المهجّرين.

أين نحن من لغة عدونا؟ بل أين نحن من مكر عدونا؟ وأين الأمَّة ممَّا يُحاك لها؟ يُجيب الطيبون الساذجون من أبناء هذه الأمَّة بأننَّا الأمَّة المرحومة، وأنَّنا الأمَّة التي لا يستطيع أحد أن يطالها، وببركة الحبيب المصطفى محمد ﷺ لن يُصيبها سوء، لا أحدٌ يشك ببركة الحبيب المصطفى، كيف وقد حُدنا عن سنة النبي ﷺ! ولكن هناك سنن كونية (إن الحياة لمن يستحق الحياة، ويعمل لنظم الحياة) فالأرض أرض الله وسخَّرها لتُنبت وتُعطي الزرع والخير، إن زرعها الكافر وعاملها بما سُخّرت له أعطته أحسن ما يكون العطاء، وإن عطّلها المسلم ومشى عليها بغياً وأشهدها ظلماً أمسكت عنه، وهكذا دواليك، فسنة الله ماضية في خلقه؛ فلا بد لهذه الأمة من أن تعي حقيقة كتاب ربها وتدرك سبب وجودها، وتفهم مقاصد شريعة دينها، وتتلمس العزة من سيرة نبيها ﷺ، فتعادي الذين عاداهم الله، وتسخر طاقاتها لنصرة هذا الدين، وليتنبه المربون إلى فن وأصول تعلم اللغات دون أن تكون على حساب اللغة العربيه اللغة الأم، وخاصة لغتنا فهي لغة العز والشرف والقوة والمنعة لغة القرآن الكريم، وهل من الدين تشجيع المدارس الأجنبيه بمناهجها المستوردة لترسخ قيم ومبادئ في عقول أطفالنا ؟ قليل من النصح يا من بيده القرار، في رعاية الأجيال، اللغة العربية أولا كتابة وقراءة وفهمًا وعمقًا، وبعدها تظهر الملكات في تعلم اللغات وفي دراسة الثقافات لنأمن مكر أعدائنا ونستعيد مكانتنا العلمية الراقية التي ملأت الأرض رقيًّا إنسانيا تفتقده البشريه اليوم عندما سادت وحوش الغاب.

الحديث الثامن والعشرون

عن أنس رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أردت الغزو وليس معي ما أتجهز به قال: ائت فلانا قد كان تجهز فمرض فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به فقال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئا فوالله لا تحبسين منه شيئا فيبارَك لنا فيه.
أخرجه مسلم وأبو داوود

في هذا الحديث تظهر فائدة واضحة تتمثّل في الخوف من الله في السر والعلن، وقد جاء هذا الفتى من قبيلة "أسلم" يُبدي عذره للنبي ﷺ ويقول: يا رسول الله أريد الغزو والجهاد في سبيل الله غير أنّي فقير لا أملك ثمن السلاح ولا عدة الحرب، فقال عليه الصلاة والسلام: اذهب إلى فلان - رجل من الصحابة كان قد تجهز للحرب ومرض فلم يستطع الذهاب - وقل له: إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ويطلب منك أن تنفعني بجهازك الذي تجهزت، فلننظر إلى التلطف بالطلب، والسلام كان دعاء فما أكثر من أن رسول الله ﷺ يدعو لك ويسلّم عليك "فأعطني ما تجهزت به" فكيف يمتنع هذا المؤمن بعد الخير الذي أصابه بسلام رسول الله ﷺ عليه، فقال لزوجته: أعطيه كل شيئ ولا تمسكي شيئًا عنه وقد يكون قد دفع كل ما يملك ثمن هذا الجهاز ولكنه الخوف من الله، أليس الله يعلم؟ أليس الله يرى؟ فلا تمسكي عنه شيئًا فتنزع عنا البركة.

ما أحرصهم على طاعة رسول الله ﷺ، وما أحرصهم على الخير، وما أحرصهم على ألا يطّلع الله عليهم فيرى ظاهرهم يخالف باطنهم، وهذا معنى خشية الله في السر والعلن، أمام الناس وفي غيبتهم، يخافون إن أمسكوا شيئا من مالهم - وهل

الجهاز إلا اشتروه بمالهم؟ - أن تكون خيانة لرسول الله ﷺ، هكذا تكون النفوس المؤمنة المحبة لرسول الله ﷺ حقًّا وإلّا فكل حب يبقى دعوة كلامية حتى يترجمه العمل الخالص لوجه الله تعالى.

الحديث التاسع والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه".
رواه مسلم

تجتمع في هذا الحديث نماذج من الأدب والحقوق والحدود؛ فمن الأدب ألّا يشير المؤمن إلى أخيه المؤمن بشيء يهدده به، أو يخوفه حتى ولو بالإشارة فقط، والحقوق أن من حق المسلم على أخيه المسلم ألّا يحقره ولا يخذله ولا يروّعه - أي يُخوّفه - والرسول ﷺ عندما دخل مكة نظر إلى الكعبة وقال: ما أعظمك وما أعظم حرمتك!

وإن المسلم لأشد حرمة عند الله منك. فاحترامًا لحرمة المسلم لا يجوز الإشارة إليه لا بحديدة ولا بسواها وسواء أكانت الحديدة هي السلاح أم كل ما يُخيف المؤمن على حياته رعاية لحق الإسلام والإخاء، والحدود هي لعنة الملائكة - أي تدعي عليه الملائكة أن يُطرد من رحمة الله ولا تزال كذلك حتى يترك ما بيده - فإن فعل ذلك أحد وذكّر بالحديث وترك ما بيده لله كان له الأجر العظيم عند الله تعالى، وهذه الآداب والحقوق والحدود هي حق الله على المسلم تجاه أخيه المسلم وإن كان أخاه ابن أمه وأبيه أو أخاه في الإسلام . حتى كلمة الإيذاء فإنَّها تُدخل يأس النفس من رحمة الله، وتهوي به سبعين خريفاً في نار جهنَّم. وأمَّا الحدود فهي: لعنة الملائكة - أي تدعو عليه الملائكة بأن يُطرد من رحمة الله، ولا تزال كذلك حتى يترك ما يبده - فإن أقدم المسلم على الاعتداء على أخيه المسلم، يكون قد وقع في محظور كبير، وتجرأ على آياتٍ محكماتٍ في كتاب الله، ويكون قد فتح ثغرةً كبيرةً

يلج منها أعداء الله. وهذه الآداب والحقوق والحدود هي حق الله على المسلم تجاه أخيه المسلم، وإن كان أخوه ابن أمه وأبيه أو أخوه في الإسلام. وقد حرَّم الله عز وجل كلُّ ما يشرخ الإخاء بين المسلمين، لأنَّ الإخاء هو الأساس الذي قامت عليه دولة الإسلام بعد الإيمان، فبالإيمان والإخاء تقوى شوكة المسلمين، وتُرفع رايتهم؛ ولذلك دخل أعداء الله على المسلمين من هذه الثغرة فأغروا العداوة بين المسلمين وجعلوهم يتناجون مع أعداء الله بالإثم والعدوان، فركن هؤلاء إلى الكفار، ووقعوا في فخ نصبه اليهود، ليُفرقوا الأمَّة تحت قانون فرِّق تسُد، وحلَّ النزاع بين المسلمين، واختلفوا، وابتدعوا ألواناً من الإيذاء يُفرقوا بها كلمة الأمَّة. والله عز وجل ينهاهم بقوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

ما أشبه الإيمان والإخاء بجسم الإنسان؛ فكريات الدم الحمراء تمثل الإيمان في هيكل الإسلام، والإخاء يمثل الأجهزة الدفاعية فيه، فعندما تضعف المناعة يحصل المرض والاعتلال، ولا تزال المناعة تتناقص حتى يعجز الطبيب والدليل، وتحين لحظة الوفاة والنهاية، واليوم نجد الأمة تسمع وتُشحَن بالإيمان شحناً تارة من شيوخ ملئوا حكمة وعلماً، وتارة من الدعاة الشباب الذين ملئوا حيوية وإخلاصاً، ولكن إن لم تستعد جهازها المناعي (الإخاء) فسيكون الإيمان عليها حجة ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾، أليس الذي نادانا للإيمان هو الذي دعانا للإخاء؟ وما فائدة القلب الصحيح والعقل السليم إذا اعتلت المناعة وانعدمت، وماذا يملك الطب أمام هذه العلة؟ كما لا يملك الإيمان شيئاً عند فقدان الإخاء... وكثيراً ما يحصل عند انعدام المناعة في الجسم أن تتحول الخلايا من وظيفتها الطبيعية إلى

وظيفة عدائية سواء كالخلايا السرطانية التي قد تصيب جزءاً من الجسم ثم لا تلبث أن تأتي عليه كله، أو كالأمراض الأخرى التي تصاب فيها الأجهزة المناعية، فينتظر المريض الهجمة الكبرى لتقضي عليه ويكون قد انتهى أجله، وإذا انتهى الإخاء من بين أمة محمد ﷺ فلن تنتهي الأمة بل ستقوم القيامة، لأن الإسلام هو عمود توازن بقاء الحياة في الأرض، وبغير الإخاء لا يقوم الإسلام وعندها لا حاجة لله في البشرية، فلذلك ينبغي لعقلاء الأمة وعلمائها ومفكريها أن يُبصِّروا الناس بخطورة تفكيك الجسد الإسلامي وعظيم ما يعنيه الله عز وجل بقوله وبأداة الحصر ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ فالإخاء سبب الرحمة وتحقيقه من ثمار التقوى.

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أوترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة".
رواه الشيخان

في هذا الحديث دلالة على أبواب الخير؛ وهي نوافذ رحمة الله تعالى على عباده، فأينما تحرَّك المسلم رأى نافذة مفتوحة فينهل منها ما شاء الله له أن ينهل، وهذه الأعمال كلها تزيد الودّ والحب والإخاء بين المسلمين لأنهم إذا تحابوا استوجبوا رحمة الله عليهم، فكلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، والسلامى هي المفصل الذي يصل العظام بعضها ببعض فتتحرك، فكلّ حركة في جسم الإنسان تحتاج إلى شكر من يحركها وهو الله العزيز الكريم، ففي كل يوم تستيقظ من نومك ومفاصلك تتحرك فأنت بنعمة من الله عظيمة تحتاج إلى تجديد الشكر عليها، وقد دلَّنا رسول الله ﷺ إلى طرق نشكر بها الله على عظيم فضله؛ فالإصلاح بين الناس صدقة، وأداء شكر تستعمل به رجليك فتمشي إلى هؤلاء المتخاصمين وتصافحهما بيدك وتستعمل لسانك لتصلح بينهما وترفع يديك بالدعاء لهما فهو لك صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، وتقديم المساعدة للمسلم سواء في سيارته أم في مركبته، فالدابة تعبير عن المركب فتعينه في إصلاحها لتصبح صالحة للركوب وتعينه بحمل أغراضه فهذا لك صدقة، وفي حديث آخر عن الدابة قال الرسول الكريم ﷺ: "مَنْ كان له فضلُ ظَهْرٍ فلْيَرْكَبْ أخاه معه"، يعني من كان عنده سعة حمولة في سيارته أو مركبته فليُرْكِب أخاه معه يُعينه على

مشقة الطريق فإنها لك صدقة؛ فلا تمنّ بها على أحد فتقول له: لقد أوصلتك، أو أركبتُك معي بل هو مَنْ يَمُنُّ عليك أنْ ركبَ معك فترك لك مجال تقديم شكر النعمة لله عز وجل، كثيرة هي المفاهيم التي أصبحت غريبة على المسلمين غير أنه لا يحسن بنا أن نتجاهلها بل لابد أن نربي أولادنا عليها وأجيال المسلمين لعل الله يكرمنا بهم. والكلمة الطيبة صدقة فكثرة الدعاء والشكر للمسلمين كلها صدقة على نعمة النطق ونعمة العقل الذي نستطيع به أن نميّز الكلمة الطيبة من الخبيثة، إذا استطعنا أن نحاسب أنفسنا عن كل يوم ونضبط لساننا فلا يقول إلا خيرًا نكون قد استفدنا من التوجيهات النبوية، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة سواء من مكان الوضوء إلى حيث القبلة لأداء الصلاة أم إلى المسجد أو إلى جماعة المسلمين لأداء الصلاة؛ فكلها تكتب من الصدقات وأنواع الشكر لله عز وجل. وتميط الأذى عن الطريق صدقة، أي إزالة ما يُؤذي المسلمين من طريقهم؛ كحجر كبير يعثُرون به أو شيئ تزلق تحته أقدامهم؛ كقشر الموز مثلا و غيره، فكل أذى أبعدناه عن الطريق كان لنا به صدقة، فكيف بمن يرمي الأوساخ في الشوارع والطرقات؟ وكيف بمن يترك أوساخه وراءه أحيانًا في المساجد أو أماكن تجمع المسلمين بما يعطي صورة سيئة عن الإسلام وهو دين النظافة، بل يشوّه صورة المسلمين أحيانًا وهم رموزٌ للنظام والتميّز بين الناس، هكذا يجب على المسلم أن يراقب نفسه وتصرفاته ولا يعذر نفسه ليعمل عملًا يشين به دينه وسلوكه، وكما قال عليه الصلاة والسلام: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" أي إزاحة أو رفع كل ما يؤذي ويتأذى به الناس؛ لأن هذا قانون نبوي للتعامل مع كل الناس مسلمهم وكافرهم، وهل ينتشر الإسلام إلا بسلوك المسلمين؟

الحديث الحادي والثلاثون

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ علمني كلمات جوامع نوافع فقال: "اعبد الله ولا تشرك به شيئا، وزل مع القرآن أينما زال، واقبَل الحق ممن جاء به صغيرا أو كبيرا وإن كان بغيضا بعيدا، واردُد الباطل ممن جاء به صغيرا أو كبيرا وإن كان حبيبا قريبا".
رواه الديلمي

هذا الحديث من مناقب الحبر الجليل عبد الله بن مسعود ما أحرصه على الخير، فقال: قلت: يا رسول الله علمني كلمات جوامع نوافع - أي كلمات قليلة ولكنها جامعة للخير- تنفعني في دنياي وآخرتي قال "اعبد الله ولا تشرك به شيئا" والعبادة هي الطاعة:

- أي تطيع الله فيما أمرك به وتطيعه فيما نهاك عنه، ولا تطع أحدًا غيره، وحاكم كلَّ أمرٍ في حياتك إلى قوانين الله عز وجل وشرعه.

- وزلْ مع القرآن أينما زال أي دُرْ مع القرآن وحدوده وحلاله وحرامه أينما زال - أي في أيّ مكان كنت فـ "أينما" ظرف للمكان؛ أي لا عذر لك أن تهجر القرآن أو أن تتعدى على حلاله وحرامه.

- واقبل الحق من الصغير أو الكبير أي افسح لأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يرشدوك وتقبّل النصح من إخوانك الصغار والكبار، القريب والبعيد،

فمن كان يحبك حقيقة نصحك ومن يتصنع لك المحبة يداريك ويتركك في ذنوبك حتى تلقى الله وهو عليك غاضب، وهذا الحديث عليه مدار رضا الله تبارك وتعالى، وصدق عبد الله بن مسعود في طلبه وأخبره الصادق المصدوق بالصدق الذي لا شك فيه، وهذه الأخلاق هي مدار السعادة وتركها هو رأس الشقاء.

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "للَّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة" وفي رواية لمسلم: "لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح".
متفق عليه

ما أجمل هذا الحديث! وما أبرع رسول الله ﷺ في هذا التصوير الرائع في وصف فرح الله عز وجل! فقد نعت الله بالنسبة بصفةٍ أثبتها هو لنفسه سبحانه وتعالى علواً كبيراً، فما مكانة العبد بالنسبة لله؟ وما العبيد كلهم مجتمعون؟ وما الخلائق كلهم من أولهم لآخرهم وإنسهم وجنّهم بالنسبة لله عز وجل؟ فمن أنت أيها العبد القليل المذنب العاصي المدبر عن ربك؟ خلقك فسواك فعدلك، أطعمك وسقاك ورزقك، عافاك ورعاك وقوّاك، سخَّر لك كل ما خلقه في هذه الدنيا، ثم ماذا؟ أدبرت عنه وابتعدت، وتوجَّهت لذليل مثلك، وعن ربك تولّيت، تأكل رزقه وتعصيه؟ يمدّك بالمال والبنين ثم تسعى لغيره؟ ولكن العجب أنَّ هذا الجليل الكريم يفرح ويشتدُّ فرحه بعودتك، يفرح بك أن تخفض رأسك بين يديه وتقول: يا الله تُبت إليك، وندمت على ما فعلت، وأصْدُقُك يا ربّ ألا أعود إلى معصيتك أبداً.

يا ربّ.. إليك أشكو قسوة قلبي وظُلمة نفسي، وتيه عقلي.. إلى من أُقر؟ وبين يدي مَنْ أرتمي؟ كلماتٌ يحتاجها المرء كلما بعدت به الشُّقَّة ومهما طغت عليه المادة،

فروحه شوك جارح أبداً بغير هذه الأحاسيس، والإنسان بغير ربه يكون بعيداً عن الإنسانية، فاقداً للرحمة. واليوم أدرك الإنسان بعلمه ودراساته بعض الأسباب التي تُؤثر في البشر ونشأتهم، فتحدَّث عن الإنسان المعقد، والمنحرف، والمتشائم، ونشط علم النفس ليَسْبُرَ أغوار هذا الإنسان، ويجد حلًّا لما يعتري هذه الشخصيات من انحرافات، فكان تشخيصها أنَّ الإنسان إذا افتقد الرحمة من والديه تارة وواجه الإهمال والصدمات تارة أخرى، إلى ما تطور من تنظير وتحبير فإنه يتعقد، وينحرف، ومن افتقد الحقوق الاجتماعية يُضيَّع، هذا صحيح ولكن هذا هو مبلغهم من العلم، الذي تحكمه المحسوسات المادية. أما الروح وسَبَحاتها، والنفس وتزكيتها فهذه أمورٌ لا يُدركها إلا المسلم صاحب المنهج الربَّاني، الذي يلجأ بكليته إلى ربه خمس مرات في اليوم يستمدُّ الراحة بعد العناء، والأنس بعد الوحشة. عندما تُحيط به الكُربات وتجتمع عليه المُدلهمَّات فيأتي الماء ويتوضأ فتتناثر الهموم وتزول الغموم، ويلهج الضمير، ويردد اللسان -لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين- أقول: إذا ساءت علاقة الإنسان بالإنسان تحوَّل إلى مريضٍ يستحق الرحمة. فكيف بمن ساءت علاقته بربه وهو بحاجة إليه في أدق الدقائق وأصغر الصغائر؟ أيها العبد: من يُنبض الدماء في قلبك؟ ومن يُحيي عصب سمعك وبصرك؟ ومن يُوازن الفضاء من حولك (من ماء وهواء وحرارة وضياء وجاذبية)؟ ومن أنطقك فأفصحت؟ وأقرأك فحفظت؟ وأحسسك فتألمت وعبّرت؟ فارجع إلى الله مهما كانت مساحة التفريط واسعة، فرحمة الله أوسع وهو ربنا القائل: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾.

إن الله علمنا ما يجبّ أن نفعله عند الخطيئة بقوله ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، فمدار الآيات كلها أن الإنسان إذا زلت قدمه يفزع إلى الاستغفار والتوبة، ويتبع سيئته بعمل صالح يكفِّر الذنب الذي فعله، وبعدها فإن الله غفور رحيم، وهذه الآية سمّاها المفسرون مراحل التوبة النصوح، وهي:

1. أن يستغفر لذنبه.
2. أن يتوب منه ويعقد النية أن لا يعود إليه، ويكره أن يعود إليه كما يكره الوقوع في النار.
3. أن يجدد إيمانه ويعمل عملاً صالحاً، ويسأل الله أن يجعله كفارة لذنبه.
4. أن يطلب الهداية بالصحبة الصالحة التي تعينه وتُثبته، ويُفارق صحبة السوء أو مكان السوء، أو كل ما يُذكِّره بالذنب أو يُزيِّن له الوقوع فيه مرة أخرى.
5. أن يثبت على ذلك، فيبحث عن إخوةٍ يتحصن بهم، ويتعاون معهم على العمل الصالح، ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر.

أما المؤمن العامل الذي باع نفسه لله عزَّ وجل فيعلم أن الذي يُفرح الله عزَّ وجل ودوام الاستغفار مما يتوهمه ذنباً، وأن يمدّ يده لينقذ الناس من الضلال إلى الهداية، ومن الجهل إلى العلم! حتى تكون الدعوة إلى الله أحبَّ إليه من الماء للظمآن، ويُقدمها على نفسه وولده ومصالحه والناس أجمعين.

الحديث الثالث والثلاثون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا "تتجافى جنوبهم عن المضاجع ...يعلمون"، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أوقال مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم.

رواه الترمذي

معاذ بن جبل كان حريصاً على طلب العلم من الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألت عن عظيم؛ أي كبير وعظيم، ولكن إذا يسره الله كان يسيرا.

فأولًا: تعبد الله لا تشرك به شيئاً فهذه أعظم الأمور ويكون ذلك بطاعة وحده؛ فالإنسان قد ينخلع من طاعة كل مخلوق يخالف أمرُه أمرَ الله ولكن أن ينخلع من هواه ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾، أن ينخلع من شهواته وما زيّن له فهذا يحتاج إلى انتباه ويقظة وعزيمة وقوة إيمان وصحبة صالحة تسدده وتقويه.

ثانياً: تقيم الصلاة؛ فتوظف الصلاة كشرطي يأمر وينهى وهذه مَهمَّة صعبة أيضاً ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾.

ثالثاً: وتؤتي الزكاة؛ فبعد رعاية حق الله تنتقل لرعاية حق البشر، وهل الزكاة إلا حق الله يعطى لعباده؟

رابعاً: وتصوم رمضان (فالصوم جنّة أي وقاية) والصوم تزكية للنفس.

وخامساً: تحجّ البيت وتتحمل الأعباء الجسدية والمادية وتحضر المؤتمر الإسلامي العظيم منخلعاً من الدنيا ومن ملابسك لتقبل على الله راجياً وباكياً وسائلاً لعلك تكون من أهل الحج المبرور.

ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ وهذا لِما رآه من اهتمام معاذ وتشوقه لمعرفة المزيد فكما أن الصوم جنّة كذلك الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصدقة غير الزكاة؛ فالزكاة من الأركان أما الصدقات فمن الواجبات، وأبواب الخير هي الأعمال الصالحة التي هي قرينة الإيمان وفي كل مرة يقول الله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾.

فأبواب الخير هي الأعمال الصالحة وهي كل ما يقوي شوكة الإسلام والمسلمين؛ فالصوم يزكي النفس والصدقة تؤلف قلوب المسلمين وتقوي ضعيفهم وتقيم مفهوم الجسد الواحد وتعزز الإخاء بينهم، وصلاة الرجل أي الإنسان في جوف الليل وقت السحر (قبل الفجر بساعة تقريبا) ثمّ تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه أي أعلى المقامات فيه، الجهاد لأن فيه عزّ المسلمين (وما ترك قوم الجهاد إلا ذَلّوا) ولا ينفر للجهاد إلا خيرة أبناء الإسلام لأنهم هم الذين يستحقون أن يتنزل عليهم نصر الله ولا يتقبل الله قتال أحد حتى يكون جهاداً في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سواءً أكان الجهاد بالحرب أم الجهاد بالكلمة أم بالدعوة لتعبيد الناس لله رب العالمين.

ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ أي الملك على كل هذه الأعمال والذي يحفظها عليك ولا يتركها تفسد عليك، إنه لسانك؛ فاللسان هو الذي يمن بالعمل فيذهب الأجر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾، فاللسان هو أداة الكذب وهو الذي يدّعي ويقول الحق والباطل وهو أداة الغيبة والنميمة وإفساد ذات البين فاللسان ملاك كل الأعمال وقد تعجب معاذ من كون اللسان عليه مدار حفظ الأعمال وضياعها مما أغضب الرسول ﷺ وقال له كلمة هي بمثابة التأنيب: ثكلتك أمك أبعد كل العلم الذي عندك لا تدري أنّ اللسان هو الذي يذهب الحسنات؟ وهو الذي يفسد بين الناس "وإن المرء ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً فيهوي بها سبعين خريفاً في نار جهنم".

ونستفيد من هذا الحديث صدق الرسول ﷺ في النصيحة ورده على السائل بإجابة شافية وافية تفوق حجم السؤال. إنه الإخلاص في التعليم والصدق في إسداء النصح، فيا حبذا أن يتعلّم كلّ معلم وكل داعية من رسول الله ﷺ أسلوب التعظيم في الأمر إن كان الأمر هو الإسلام، ولفت الانتباه إلى دقائق الأمور التي

يغفل الناس عنها، فهذا الأسلوب التعليمي الإخباري الرائع من أرقى ما توصلت إليه طرق التعليم اليوم، وحبذا لو قسّم هذا الحديث إلى ثلاثة أقسام حتى يعطى حقه في الشرح وفي الحفظ ويؤدي الغرض التربوي المراد.

حبذا لو يخصص جدول لأبواب الخير التي مرت بالحديث بحيث يّشجَّع على التنفل والقيام بأبواب الخير، ورفع السقف العبادي بتدرج كأداء ركعتين من صلاة الضحى، أو صلاة ركعتين بعد العشاء قيامًا للَّيل كي يحظى بهذا الشرف العظيم وهو يقف بين يديّ الله عزوجلّ ويصف بصفة القوامين؛ على أن تقدّم له الجوائز الرمزية.

الحديث الرابع والثلاثون

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" (وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما).
أخرجه البخاري

كلنا يعلم أن قاعدة أصولية من قواعد الإسلام هي الإخاء ورسول الله ﷺ علمنا وأرشدنا إلى رعاية هذا الإخاء وليبق المجتمع الإسلامي عزيزاً قوياً متراحماً وبما أنّ الأمّة أمّة الجهاد في سبيل الله فالأيتام كثر من أجل هذا أرشدنا إلى الرحمة باليتيم والارتقاء به لأنه يمثل شريحة كبيرة في المجتمع بعد الحروب وعلمنا التلطف به ورغبنا بصحبة الرسول الكريم ﷺ في الجنّة إنّ كفالة اليتيم تجبر الكسر وتدخل الفرحة على الطفل الحزين الذي يعيش الفقد والفقر في أغلب الأحيان فعندما يجد اليد الحانية التي تعطيه وتمسح رأسه وتتكفله ليس بالمال فقط وإنما بالرعاية وتأمين ما يزيح عنه ألم اليتم والحرمان بهذا العمل نقترب من رسول الله ﷺ كما اقتربت أصابع اليد الواحدة بعضها من بعض وأطفال بلاد الشام والعالم الاسلامي المستهدف.

اليوم تنادينا فهل من عودة إلى الجسد الواحد من جديد فنكفل اليتيم ونرعى المعاق ونرحم المحروم طمعاً في صحبة الرسول الكريم ﷺ. امتثالًا لما ذكره ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، فحدِّثوني ما هي: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله بن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله، قال: هي النخلة" [رواه مسلم].

ما هذا المجلس يا رسول الله؟ وكأنَّك تُريد أن تقول: هكذا تكون المجالس، وأنت المعلم فيه، والناصح الأمين، وحديث النخلة يجعلنا نستعرض فوائد النخلة وعظيم عطائها وتشبيه النبي ﷺ النخلة بالمسلم له دلالة، فهل يجوع بيت فيه نخلة؟! وكذلك لا يجوع يتيم وفي الأرض مسلمون، هكذا تكون المجالس، يطيب فيها الكلام، وتنتشر منها الفوائد، وتُقتبس منها الآداب، وتُلفت الأنظار إلى عظيم صنع الله. ونستنتج من الحديث أيضاً تقريب أسلوب التشبيه والمقارنة، في الكيفية التي يجب أن يتحلّى بها المسلم وما هو المتوقع منه؟ إنه نظير النخلة!

فالنخلة ظلٌّ ظليل، وهي من الأشجار التي لا تتساقط أوراقها فهي نظيفة، ظلها جميل، وثمرها حلوٌ نضيد، تُشبع الجائع في وقته، ويُدَّخر منها لما في بعد، لا تستهلك الماء فمصروفها قليل، فكأنها أصل للإنسان في الخير والعطاء.

ولو نظرنا في الحديث لوجدنا أصول العلم والتعليم فيه، فهو يحمل العلم والمثل والدُعابة، ويُحرِّك الناس حتى لا يكونوا سلبيين في تلقي المعلومة. (فحدِّثوني)، قال: فجعل الناس يُفكرون في شجر الصحاري، ويستعين من لا يعرف بمن يعرف في الزرع، ولكن ابن عمر بفهمه الدقيق ساقه حدسه إليها، ولكن كيف يقول وهو في حضرة من هم أكبر منه سنًّا وأقدم صحبة؟ فاستحيا والحياء لا يأتي إلا بخير، لماذا لا يقول ويحظى بالسبق؟ إنه أدب المدرسة المحمدية التي يُجِلُّ فيها الصغيرُ الكبيرَ، وفيها التواضع وعدم حب الظهور، فانتظر عبدالله بن عمر حتى يتكلم من هو أكبر منه.

وبعد هذا، لماذا شبَّه المسلم بالنخلة؟ لأن النخلة كلها منافع ولا يأتي منها إلا الخير وكذلك المؤمن يجب أن يكون.

1. إنّ ورق النخلة يُسمّى الخوص، فيصنع منه المزارعون بيوتهم.
2. وأعواد النخيل التي تسمى الجريد كانوا يسقفون بها بيوتهم، ولهم فيها صناعات لا يستغنون عنها.
3. أما الليف المحيط بجريد النخل فيستخدم للنظافة في الاستحمام.
4. والسباطات التي يُقطف منها البلح فتُستخدم استخدام المقشات والمكانس في التنظيف.
5. وجذوع النخل يُصنع منها الكراسي وأعمدة الخيام ومرابط للبهائم.
6. وأما الثمر فيُدَّخر تمراً فيُعطي الغذاء ويسد الجوع.
7. وأما النوى ففيه عبرة وأي عبرة، أما ذكر الله في كتابه نقيره وقطميره تعبيراً عن دقة الحساب يوم الحساب؟ (النقير: النقطة تكون في نواة التمر، والقطمير: الغشاء الرقيق الذي يحيط بالنواة).

أليس المؤمن يشدّ العضد، ويدفع العدوّ ويُعين وقت الحاجة، وينصح وقت الشدة؟ أليس المؤمن صالحاً حيثما حلّ ترك أثراً صالحاً؟ أليس المؤمن ظِلٌّ ظليل لأخيه المؤمن، القويُّ يُعين الضعيف ويرحمه؟ أليس المؤمن طعامه طيب، وكلامه نافع، وعطاؤه حلو، وأثره مفيد؟ فلا بد لنا من أن نراجع أنفسنا في مجالسنا وما يدور فيها، وعلينا أن نحاسب أنفسنا حتى نكون مثمرين نافعين معطائين دقيقين في العطاء، متسامحين في التعامل.

الحديث الخامس والثلاثون

سأل رسول الله ﷺ يوما أصحابه فقال: "أتدرون من المفلس؟" قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: "المفلس من أمتي من يأتَ يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار".
رواه مسلم

في هذا الحديث أسلوب تعليمي توصلت إليه بعض طرق التعليم الحديثة وهي جعل المتعلم يساهم في الإجابة، وقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه يوماً من المفلس؟ فأجابوه بما تعارف عليه الناس من معنى الإفلاس وهو الذي لم يبق له درهم ولا متاع؛ أي حاجات من مَلْبَس ومفروشات، فقال عليه الصلاة والسلام مصححاً هذا معنى الإفلاس اللّغوي، أما إفلاس هذه الأمّة فهو أن يأتي الإنسان يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد اعتدى على المسلمين بيده ولسانه وظنّ بهذا سوءاً وأكل أموال هذا وقذف هذا، فيأتي يوم القيامة فيحبس عند قنطرة حقوق العباد حتى يرد لكل إنسان حقه؛ والمعاملات يوم القيامة بالحسنات والسيئات فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إذا فنيت حسناته أُخِذَ من سيئاتهم حتى تثقل ميزانه فتطرح عليه فيطرح في النار.

وتطرح عليه؛ أي تصبح وزراً يحمله على ظهره، ما أبأس هذا؟ هل بعد الذهب والحرير والفراش الوثير؟ أيكون في عداد المفلسين ويتطلع إلى جواد يتصدق عليه فلا يجد حتى ولا في جماعة الأنبياء والمرسلين كلهم قائم يقول: (اللهم سلِّم) فكيف

العمل؟ وما من جواد في ذلك اليوم سوى الله عز وجل يرحم فيغفر ويأذن في الشفاعة، ولكن هل تكون الشفاعة في حقوق الخلائق؟

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾، كلا، بل لا تكرمون اليتيم؛ إنه يطالب بالتكريم، لم يقل بل لا تطعمون اليتيم، أو بل لا تنفقون على اليتيم، كلا، بل لا تكرمون اليتيم، طلب المشاعر الإنسانية التي يخلفها الفقد، فاليتيم قد يملك المال، لكنه يفتقر لليد الحانية، فيرمق بعينيه ويسمع بأذنيه، فلينتبه كفلاء الأيتام الذين أكرمهم الله بحضانة يتيم، فلا يحمل ولده ويترك اليتيم، ولا يُلاطف ولده ويهمل اليتيم، ولا يصحب ولده، ويدع ذلك المكسور لنوازعه تحرق فؤاده، ويتململ لسانه ماذا لو كان لي أب كما لهؤلاء؟ ولذلك لامست الزجرة القرآنية مشاعر الإنسان الذي تغلب عليه القسوة والمنة بما ينفق، كلا، بل لا تكرمون اليتيم، فالواجب عليه أن تواسيه إذا مرض، وتشجعه إن أحسن، وتعطيه الحنان والحب لتنسيه ألم اليتم والحرمان، وتثني عليه إذا تفوّق، والمرء إذا افتقد تلك اللمسة الإيمانية يحسب أن المال كل شيء؛ كلا ما أحوج الإنسان للكلمة الطيبة، وما أحوجه لعبارة ثناء تشد أزره وتنهض همته، ومن هذا القبيل كانت البشارة النبوية فيما رواه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّجَ بينهما" فقبل المال لابدّ من الحب والحنان، والشعور بالمسؤولية تجاه أخ مسلم قضى وترك وراءه أولاده، فكيف يبرُّ المسلم أخاه المسلم بعد موته؟ إنه يُكرم أولاده ويرعاهم ويُحسن إليهم هذا حكم اليتيم عامّة، ولكن كيف بأيتام الشهداء الذين نذروا حياتهم ليرفعوا راية الإسلام في أرض الجهاد، ويدافعوا عن أعراض الأمة ومقدساتها، فمن فاته شرف اللحاق بهم فلا

يفوته أن يخلفهم في أهليهم من بعدهم، وصدق الله العظيم بقوله: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾.

فلنقترب من رسول الله ﷺ كما اقتربت أصابع اليد الواحدة، وها هي بلاد الشام تئن بجراحها، فهل من مجيب؟ لنضمِّد الجراح ونرعى المعاق، ونكفل اليتيم، ونرحم المسكين، ونحفظ الحقوق حتى يحفظنا الله من الإفلاس يوم الدين. وكأنَّ الله عز وجل في الآيات الكريمة يُعالج حالة قسوة تُحيط بالأمة إذا أصبح همُّها جمع المال، وطغى حب المال على أداء الواجبات، وانشغل به الإنسان عن هموم المسلمين فيوقفه الحديث النبوي الشريف ليقول له: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" [رواه البيهقي في الشعب والطبراني].

فهيّا إلى واحة الإخاء والإحسان.

الحديث السادس والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، وإن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبعدكم مني مجلسا يوم القيامة أساوئكم أخلاقا".
رواه أبو داوود

تقول عائشة إنها سمعت النبي ﷺ يقول: إنّ المؤمن يبلغ بحسن خلقه منازل الصائمين في النهار القائمين في الليل وإنّ أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أصحاب الخلق الحسن وأبعدهم عنه أصحاب الخلق السيئ، وعائشة تنقل لنا الحديث وتحمل أمانة السنّة الشريفة وهي بين الثانية عشرة من عمرها إلى التاسعة عشرة حيث توفي رسول الله ﷺ في هذا العمر؛ سخرت شبابها وذكاءها لنشر الدين والوعي عن رسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة فانظروا إلى هذا العمر المعطاء كيف تقضيه بناتنا وأولادنا.. من يحمل أمانة هذا الجيل وتعبيده لله عز وجل؟

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لي: "يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال: يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة" أخرجه الترمذي.

ما أجمل القرب من رسول الله، اقترب أنس بن مالك رضي الله عنه من رسول الله ﷺ حتى نال كلمة النصح: يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غِشٌّ لأحد فافعل، وكلمة إن قدرت دليل على أن الأمر شاق، ويحتاج إلى مجاهدة للنفس حتى تصفو القلوب وتحب في الله وتبغض في الله وترجو الله واليوم الآخر، فصفاء

القلوب وصلاحها من سنة النبي ﷺ. وقد عدّ الرسول ﷺ أن من تمسك بسنته فكأنه أحياه عليه الصلاة والسلام، فسنته الإخاء وحب الخير للناس ومن أحياه أي ومن تمسك بسنته كان معه في الجنة، إنها علامة على الطريق للقاء رسول الله ﷺ، وصدق في قوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ما هو حسن الخلق؟ هو اليسر في التعامل، واحترام الدين لأنه يحفظ الحقوق فلا يطغى أحد على أحد، بل هو عدم التكلف والشحِّ والبخل؛ لأن البخيل بغيض إلى الله بغيض إلى الناس، والكريم حبيب إلى الله حبيب إلى الناس، وما أجمل الهدي النبوي في وصيته "ازْهَدْ في الدنيا يحبك الله وازْهَد بما في أيدي الناس يحبك الناس" [رواه ابن ماجه]. ومن كان هذا خُلقه فهو من أهل الخلق الحسن.

والمؤمن صاحب الخلق الحسن هينّ لين، يُصبح في قضاء حاجات الناس ويُمسي في أمر الله، إذا قام قام بالعدل، وإذا اضطجع حاسب نفسه، يستعرض حسناته فيستقلها، ويُحصي سيئاته فيتعاظمها ويتوب منها، ويعاهد نفسه ألا يعود إليها، ويستغفر الله لإخوانه فيسامح المسيء، ويدعو للمحسن فيكون قد غلب شيطانه والتمس السنة، وهذا مصداق ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأنس يُربيه: "يا بني؛ إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال: يا بني؛ وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة"، إن القرب من رسول الله ﷺ نعمة لا توازيها نعمة، ولكن هل القرب البدني هو المعني في الحديث ورسول الله ﷺ لم يعمّر طويلاً؟ إنّ المعنى الحقيقي للقرب هو لقاء المشاعر والحب والفكر، ألم يكن عبدالله بن أبي سلول (رأس النفاق في المدينة) قريباً ببدنه من رسول الله ﷺ؟ يحضر الجُمع والجماعات، ولكنه بعيد بقلبه، بعيد بفكره، ولم يسعفه قربه وحضوره، وربّ بعيدٍ

بجسده ولغته ولونه، قريب وقريب جداً، فهذا بلال رضي الله عنه، وهذا سلمان رضي الله عنه، ومن ورائهم أناس كثيرون يودون لو يروا رسول الله ﷺ، ويفتدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، هذا هو القرب الحقيقي من النبي الكريم ﷺ، وهذا هو مقصد إحياء السنة عندما تشتد الغمَّة، ومصداق قوله ﷺ: "يأتي زمان على أمتي القابض على دينه كالقابض على الجمر"، فهذا هو القريب، وهذا هو المحب، وهذا هو المؤمن.. جعلنا الله منهم، فإن فاتتنا الصحبة فلا تفوتنا السّنة.

الحديث السابع والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، ومانتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شئ قط إلا أن تنتهك حرمات الله فينتقم، وما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى.
رواه مسلم

تنقل عائشة وهي الزوجة الصغيرة خُلق رسول الله ﷺ فتقول: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراماً فيكون أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه قطُّ؛ أي ما غضب لنفسه أو لشيئ صنعه أحد له أو آذاه به أو حرمه إياه إلا إذا كان الاعتداء على شرع الله فيغضب وما ضرب رسول الله ﷺ أحداً ولا امرأة رغم أنه جمع بين تسع نساء ولم يضرب خادماً، وكما مرّ معنا في حديث أنس فكان عليه الصلاة والسلام أطيب الناس خلقاً وأرقاهم تعليماً فالذين يضربون نساءهم ويضربون الأطفال بعيدون عن شرع الله وعن أخلاق رسول الله ﷺ. ولنتدبر قول عائشة (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قطُّ)، وهل أهلك الناس اليوم شيء كما أهلكهم حب مصالحهم وحب ذواتهم؟ وهل قامت البغضاء بين المسلمين إلا بسبب هذا؟ وهل دار عتاب النساء وحديثهم خارج هذا الإطار؟ ومعظم مشاكل البيوت من هذا القبيل، ومعظم قطع الأرحام نابع من هذه الأخلاق، فهذا ضرب زوجته لأنها لا تجيد طبخ طعامه، وآخر لأنها لا تلبي مزاجه وقد يكون في الحرام، وآخر يسترضي أمه أو أخته فلا ترضى هذه وتلك حتى يشبع زوجته ضرباً وإهانة، وهذه تضرب أولادها لتنام إلى الظهر فلا يزعجونها، وأسباب أخرى عديدة، والضياع والجهل هو الثمرة المُرَّة. أيُّ رضًا للوالدين في ضرب الرجل

زوجته؟ الله أمرك أن تكرمها وأوصاك بها فكيف الفكاك من معصيته؟ وكيف الخلاص من قنطرة حقوق العباد؟ أم أن كثيراً من الناس يحسب أن لا حقوق مشروعة للزوجة؟

وقد ورد في الأثر أن أبا الدرداء حين حضرته الوفاة قال: ائتوني بحماري، فمسح عليه وقال: أتشهد لي يوم القيامة أني ما أجعتك ولا أدأبتك (أتعبتك وحملتك فوق طاقتك) يستسمح من الدابة لعله ينجو وهو من هو أبو الدرداء، فأين نحن من احترام الحقوق وتكريم الإنسان؟ فكيف بك وقد تبعتك زوجتك التي أوصاك الله بها بقوله: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، وذكرها بأنَّها الصاحب بالجنب؟ كيف وهي تلاحقك بين يدي العلي الكبير؟ لا أنت أحببتها، ولا أنت أكرمتها، ولا أنت أحسنت إليها، بل ظلمتها وأهنتها، ولا أنت أعطيتها مثلاً طيباً تحتذيه، وما كنت لها مثلاً طيباً ترتجيك، والأدهى من ذلك عندما يكون صاحب هذا السلوك محسوباً على أهل الدين! فيقع في جريمة الصدِّ عن سبيل الله، فيتسبب في رفض الفتيات الزواج من صاحب الدين لأنه أسوأ الناس أخلاقاً، وذلك بسبب هذا المحسوب على أهل الدين بلحيته وفظاظته وتخطيه رقاب الناس في المساجد، وقلبه الخالي من الرحمة، ولهذا نقول ما قاله النبي الكريم ﷺ "أوَ أملكُ إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟" [متفق عليه].

الحديث الثامن والثلاثون

قال رسول الله ﷺ: "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث".
رواه البخاري

في هذا الحديث قوانين لايجوز لأحد تعديها، وهي من الحقوق والآداب وقوانين التعامل في الإسلام.

(لا تقاطعوا): والقطيعة أن يقاطع المؤمن أخاه المؤمن، فلا يسلّم عليه، ولا يؤدي له الحقوق التي عليه كأن يعوده إذا مرض، ويفتقده إذا غاب، ويعينه إذا أعسر أو مرّ بضائقة مالية.

(لا تدابروا): والتدابر أن يعطي المؤمن ظهره لأخيه المؤمن بطريقة توحي بهجره وتركه.

(لا تباغضوا): أي لا يبغض بعضكم بعضًا، ولا يجوز للمؤمن أن يعمل أعمالاً يبغضه الناس من أجلها، كأن يكثر العتاب أو يمدح نفسه وأولاده وأهله أو يكثر السؤال والاستفسار، أو يبخل ويطمع في أموال غيره، أو يستغل إخوانه فيستخدمهم، أو ينمّ بينهم، ومثل هذا السلوك يجعل الإنسان تحت مسؤولية كبيرة يوم القيامة، ولا يصح أن يكون المؤمن سريع الغضب سيئ الظن بإخوانه لا يراعي ظروفهم.

(لا تحاسدوا): أي لا تستكثروا نعمة الله على المسلمين، ولا تتمنوا زوالها عنهم، بل الواجب أن يفرح الإنسان إذا رأى عليهم خيراً، ويسأل الله أن يلهمهم شكره ويديم نعمته عليهم، فلا يحسد. إلا فارغ القلب من. الإيمان، فالحسد. شر كله ولم يقل ولا تحسدوا بعضكم، وإنما قال: لا تحاسدوا، أن تصبح نعمة أنعمها الله على أحد من عباده حديث القوم وشغل الناس، وكذلك الواجب على الإنسان الذي أنعم الله عليه أن لا يتكبر بهذه النعمة فيتعالى على إخوانه فيسلم عليهم متكلفاً، فأكثر الحسد من الكبر الذي يقع به الناس، فالتحاسد شر كله يقع إثمه على المحسود إن كان متكبراً على الناس ولا يشكر الله على ما أنعم به وعلى الحاسد الذي قطع رجاؤه من الله وفرّغ نفسه ليحصي نعم الآخرين، وقد علمنا رسول الله ﷺ التحصين من الحسد وهي سورتي الفلق والناس.. وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود: "إياكم والحسد فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال: العشب".

ثم إنه أمرنا بالإخاء وبين حقوق المسلم على المسلم؛ فلا يظلمه ولا يحقره ولايخذله (إن وجده في حال يطلب النجدة أو النصرة فلا يتركه) ولا يكذبه أي لا يقف ضده، وإن رأى منه خطأ ينبهه إليه فيما بعد، دون تشهير به؛ فحق المسلم على المسلم أن يحترمه ويقدره ويدافع عنه، ومن الكبائر الاعتداء على دمه أو عرضه أو ماله.

وهنا يبرز خلقٌ أمرنا به النبي الكريم ﷺ لا يقبله إلا ذو حظٍّ عظيم من حسن الاتباع وصدق الإخاء، وهو إذا وقع الحسد وحلّ الألم، فلا بأس أن يطلب من أخيه الذي قام بالحسد أن يتوضأ له ليغتسل المحسود بماء الوضوء، فيذهب عنه ما يجد بإذن الله وببركة الاتباع، هكذا قال رسول الله ﷺ، فالواجب أن نقول سمعنا وأطعنا، والحسد أحياناً يحدث في لحظة غفلة، وقد تحسد الأم ولدها، والبنت

أهلها، فلذلك لا ضير ولا حرج أن يسأل المؤمن أخاه المؤمن ماء وضوئه، المؤمن للمؤمن كاليدين يمسح بإحدى يديه ما علق بيده الأخرى، وهذا أروع تمثيل للجسد الواحد.

ومتى تحابببت الأمة في الله أحبَّها الله وأكرمها وأنزل عليها نصره ومكَّن لها في الأرض وردّ لها هيبتها بين الأمم. وكما جاء في صحيح البخاري عن أنس: "ما توادّ اثنان في الله فيُفرّق بينهما إلا بذنبٍ يُحدثه أحدهما".

وخلاصة حق المسلم على المسلم كما وردت في بعض الأحاديث:

- لا يبغضه
- لا يدابره
- لا يهجره
- لا يتجسس عليه
- لا يماريه ولا يجادله
- لا يقاطعه
- لا تنابزه بالألقاب
- لا يخونه
- يتواضع له
- لا يخذله
- لا يسخر منه
- لا يحقره
- لا يسلمه
- لا يغتابه ولا ينم عليه
- لا يروعه وإن كان مازحاً
- لا يَعِدْه موعداً فيخلفه
- يعوده إذا مرض
- يشهده إذا مات
- يعينه إذا أعسر
- يسلم عليه إذا لقيه
- يشمته إذا عطس وحمد الله
- يجيبه إذا دعاه
- ينصح له إذا غاب أو حضر
- ينصره ظالماً أن يمنعه من الظلم
- ينصره مظلوماً يرفع الظلم عنه
- لا تبع علي بيعه ولا تخطب على خطبته

الحديث التاسع والثلاثون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: "أتدرون مما أضحك؟" قلنا: الله ورسوله أعلم فقال: "من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول: ربي ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أُجيز علي إلا شاهدا من نفسي فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا، فيُختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول: سحقا لكن عنكن كنت أُناضل".
رواه مسلم

في هذا الحديث ضحك رسول الله ﷺ لكنّ ضحكه لم يكن سرورًا بل ضحك تعجُّبٍ من حال الإنسان يجادل الله عز وجل وهو واقف بين يديه يرجو رحمته تعالى، ولكنها عادة الجدل المقيت؛ فمن ابتلي بالجدل في الدنيا ابتلي به في ذلك الموقف فتأمّل حال ذلك الإنسان البائس الضعيف الذي يجادل ربه الذي خلقه، والآن سيحاسبه فيقول له الله عز وجل: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا! فبقدرة الله يُمنع من الكلام وتنطق جوارحه فيشهد عليه رأسه وشعره وعينه ولسانه ويده ورجله وكل شيئ ينطق ويشهد عليه فيما أغضب اللهَ عز وجلّ، كيف هجر السنة؟ كيف شاقَّ الله ورسوله ﷺ؟ كيف اتبع غير سبيل المؤمنين؟ أسئلة كثيرة لا يملك لها جواباً. ثمَّ يُرَدُّ إليه الكلام فيقول لجوارحه لم شهدتم عليّ؟ تبًّا لكنَّ، عنكنّ كنت أناضل فتقول: أنطَقَنا الذي أنطق كل شيء. هذا الجدل وهذه اللجاجة يبغضها الله عز وجل، ولكن لماذا؟ لأنها تسبب الشقاق بين المسلمين. وتوقع في غضب رب العالمين، وقد حثّنا رسول الله ﷺ على ترك هذا الخلق بقوله: فيما رواه أبو داود في السنن: "أنا زعيم ببيتٍ في رَبَضِ الجنة لمن ترك المِراءَ وإن كان محقًّا، وببيت في

وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُه" ربض الجنة: وسطها، المِراء: الجدل.

مسكين ذلك الإنسان حين يُحرم التوفيق للطاعة وهذا نوع من العقاب دون أن يدري..
فالتكشف عقاب ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾،
وقسوة القلب عقاب ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾،
وجمود العين عقاب "أعوذ بالله من عين لا تدمع"،
والانشغال بالنعمة عن المنعم عقاب ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾،
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾.

الحديث الأربعون

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، ليس مني إلا عالم أو متعلم وباقي الناس همج لا خير فيه".
رواه الطبراني

الذكر الذي امتدحه الله في كتابه وحثَّ عليه؛ واذكروا الله وقال ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ هو المعنى المقصود في الحديث ولكن الناس صرفوا هذه الآيات إلى معناها البسيط (ولايزال لسانك رطبا بذكر الله) ولكن الحقيقة القرآنية أعمق من ذكر اللسان فقط إنما هو ذكر النوايا وخلجات القلوب وذكر الجوارح وكما ذكرها الامام أحمد (أن تجعل لكل عمل تريده نية) الإخلاص واتباع الصواب ويقصد بها السنة؛ وبهذا نتحقق بالذكر الذي هو ضد الغفلة.

والقائمين على أمر الله هم الذين ذكرهم رسول الله ﷺ في حديثه: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيتها" [متفق عليه].

فالأب راعٍ، والمدير راعٍ، والمعلم راعٍ، والعالم راعٍ، والإمام راعٍ، وكل مسؤول راعٍ، وكلهم سيسألهم الله عمن استرعاهم، فويلٌ لمن جهَّل أهله، وويل لمن جهّل رعيته، وويل لمن جعل من تحت يده هملاً. فربما يفرح الرجل إذا ما أحكم القبضة على زوجته فلا هو علّمها ولا تركها تخرج لتتعلم، وإذا سئل عن ذلك ابتسم نشوان برجولته.

وحقٌّ على الإنسان إن كان عالماً أن يسأل نفسه كل ليلة: كيف أفدت المسلمين بعلمي؟ وإن كان متعلماً فيدعو قائلا: لا بورك لي في يوم لم أزددْ فيه علماً، وعلى الجميع أن يقولوا: ربنا زدنا علماً، وكلّ مسلم مُكلفٌ أن يسأل نفسه كل ليلة ماذا قدمت لديني اليوم؟ وما الخدمة التي ستُرضي عني ربي وتُثقّل ميزاني؟ فإن وجد المرء خيراً فليحمد الله على توفيقه، وإن لم يجد فأضعف الإيمان أن يُسامح أمة محمد ﷺ، ويستغفر الله لهم ولنفسه ويتوب، ويعقد النية على تدارك ذلك في الغد.

وأما العلم والتعلم فهما مصدر القوة التي أمر الله بإعدادها، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾. فالقوة الجسدية والقوة الإيمانية والقوة العلمية كلها تجعل الأمة قائدة رائدة، ولذلك فصّل الله عز وجل في كتابه الكريم معنى الضعف الإيماني بقوله:

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾.

هذا الضعيف الذي أشارت إليه الآية هو ضعيف الإيمان الذي رفض الكرامة الربَّانية وآثر الضعف الشيطاني. بينما فصّل النبي ﷺ في الحديث عن ضعيف البدن فقال: "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير" [رواه مسلم].

والمقصود هنا ضعيف البنية الذي لا يملك حيلة في ذلك فهكذا خلقه الله عز وجل، وليس ضعف بنيته بسبب إهماله وتفريطه، وفي كلٍّ خير. أما ضعيف الإيمان فلا خير فيه لأنه رفض أخص خصائص الكرامة الانسانية، فقد تنازل عن حريته الشخصية في التفكير والعبادة فهو يُفكر بما يُقوّي به الباطل، ويعبد غير الله عز وجل من الطواغيت. فهل يرضى عاقل أن يكون من الهمل الذين لا قيمة لهم، والشاعر يُحذره من ذلك فيقول:

قد رشَّحوك لأمرٍ إنْ فطِنتَ لهُ ... فاربأْ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

الخاتمة

وبهذا القدر المختصر أضع بين القارئ خلاصة القول في حياة المؤمن والغاية التي خلقه الله من أجلها متمثّلة في عمارة الأرض بإصلاح النفس والمال والعباد والبلاد، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى لنا أن الإنسان في هذه الدنيا إما طالب دنيا وإمّا طالب آخرة ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾.

ولذلك وجهنا رسول الله ﷺ إلى الفهم والتوازن؛ فإعمار الدنيا بالعبادة واستخراج معادن الأرض وإقامة العدل فيها وإصلاح العباد والبلاد أول مسؤولية المسلم بين يدي الله تعالى؛ لأنها معيار القوة في الأرض. والمؤمن يجب أن يكون أقوى أهل الأرض ليقود البشرية إلى ربها فكيف إذا أصبح ضعيفاً في دينه ودنياه وأصبح يقوده الكافر فيهون على الله ويخلد لدنيا الشهوات فيضيّع دينه ودنياه وآخرته، من أجل هذا جاء حديث رسول الله ﷺ محذّرًا بقوله: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها (من معاصٍ وشهوات واتباع للشيطان وتضييع أوقات) واستثنى من ذلك *ذكر الله ودراسة منهجه والتزام دينه، وإقامة حكمه؛ لأنه الرحمة والعدل الذي يسعد البشرية ويشعرها بالأمن والاستقرار. وبهذا وضع الميزان الدقيق بين القائمين على أمر الله إما عالم وإمّا متعلم، أما من سواهما فهو من الهمل الذي لا خير في بقائه فهو يفسد ولا يصلح، والعاقبة للمتقين.

وفي الختام نفع الله بهذا العلم ونفع المربي والمتربي، ولعلّ من تمام الفائدة أن نحفظ قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

أرجو الله أن يتقبل أعمالنا وينفع بها ويوفق المسلمين ليقيموا الإسلام في الأرض، لنستعيد عزنا المسلوب ورايتنا المعزولة إنّ الله على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هذه بعض الفوائد التربوية للأطفال: إحياء عبادة التفكر!

لفت انتباههم لساعة الغروب وساعة الشروق وبيان قدرة الله تعالى على ذلك، والعرّف على شعور الإنسان بين الموقفين؟ يطرح سؤال على الطفل: ما شعورك أثناء مشاهدة غروب الشمس وشروقها؟

الأول: شعور بالندم على ما فاته، والاستغفارعلى التقصير، ومن الذي يملك أن يرد لنا ما مضى لنصلح فيه؟

الثاني: موقف ملؤه الأمل والهمة أن لا يفوتنا الخير مستشعرين النداء فيه (ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاستبق فيّ الخيرات؛ فإني لا أعود إلى يوم القيامة).
تجربة التفكر في أنواع التربة ... قليل من التربة الصخرية وهي الحصى الصغيرة، وقليل من التربة المالحة، وقليل من التربة الخصبة كلٌّ على حِدَة. ضع بعض الحبوب في التربة الخصبة وأخرى في التربة المالحة. ثمّ صُبَّ عليها الماء، واعهد إلى أحد الأطفال كي يسقي الأحواض الثلاثة. وبعد أسبوع ستلاحظ: أن التربة الخصبة بدأت تظهر فيها النباتات، بينما تأخذ التربة المالحة الماء ولا تنبت شيئاً، وستلحظ أنّ التربة الصخرية لا تمسك الماء أصلاً.

السؤال:
كل طفل يكتب ملاحظاته ويسجل تعليقه. وما مدى تشابه التربة بالقلوب البشرية؟

الجواب:

- إن التربة الصخرية مثل قلب الكافر لا تمسك الماء ولا تنبت الزرع، وقلب الكافر لا يعرف الإيمان ولا ينتفع بالقرآن.
- أما التربة المالحة فتمسك الماء ولا تنبت الزرع وكذلك قلب المنافق يسمع القرآن فلا ينبت الإيمان.
- وأما التربة الخصبة فتمسك الماء وتنبت الخير وكذلك قلب المؤمن يسمع القرآن فيزهر فيه الإيمان، ويظهر الخير ويكثر الثمر، وتشبيه القلوب بالتراب ذكره الله عز وجل مرات عدّة في القرآن الكريم.

أحاديث الخطوط

يُحكى لمن يراد تربيتهم على شكل قصة ثم يطلب منهم تمثيل الحديث بالرسم، وتكون على شكل مسابقات ونرى بعدها من رسمه أنه يوضح المعنى أكثر.

الحديث الأول

قال جابر رضي الله عنه: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخطَّ بيده في الأرض خطًّا هكذا أمامه فقال: هذا سبيل الله عز وجل وخط خطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذه سبل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

رواه الإمام أحمد في المسند

الحديث الثاني

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط النبي ﷺ خطًّا مربعا وخط خطا في الوسط خارجاً منه وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه كلها أصابه الهرم.

رواه البخاري

الحديث الثالث

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: خَطَّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط وقال: أتدرون لم خططت هذه الخطوط ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.
رواه الإمام أحمد في مسنده

ابحثي معهم في الشخصيات الأربعة و دقّقي في المواقف التربوية..

1. لِمَ تركت السيدة خديجة، رضي الله عنها، الدنيا و نعيمها؟

2. ولماذا فرّت آسيا من فرعون وعمله وقصوره وخدمه وحشمه؟

3. منهج مريم في إحصان نفسها وعلاج ما يسمونه بالمراهقة ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾، أحصنت نفسها بالعبادة فاستحقت المعجزة فيما تُحصن المرأة المسلمة بالزواج. الفرق بين أحصنت نفسها بنفسها ومحصنة بغيرها.

4. ولماذا كانت فاطمة بنت محمد ﷺ صورة الصبر والمصابرة أشبه الناس برسول الله ﷺ هدياً وسمتًا؟

تمارين مطلوبة:

1. تدريب الأطفال على جلسة التشهد ونصب القدم اليمنى، وعلى صحة الركوع بوضع كأس الماء على الظهر بحيث لا يميل، أو أن توضع كرة على ظهر الطفل بحيث لا تسقط على الأرض، وذلك في جوٍّ من اللعب والمرح.

2. تدريب الصبيِّ على السجود الصحيح وأن يباعد بين يديه. وتدريب البنات على السجود الصحيح وأن المرأة تجمع بعضها لأنه أستر لها، ولاحظ الفرق.